وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجـــــي بالأغواط

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم العلــوم الانسانيـــــــــة

العنوان

دور المغاربــة في الحروب الصليبيـة في المشرق (مصر والشام) في عهد الدولة الزنكية و الدولة الأيوبية

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط

اعداد الطلبـــة :

بلعمري مسعودة

قاسمي صورية

اشراف الأستاذ :

كعبوش بومدين

لجنة المناقشة

الاستاذة: سويقات ربيعة.....رئيـــــــسا

الاستاذ: كعبوش بومدين.....مشرفا و مقررا

الدكتور: شـــارف خالد.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية :2017/2016

شكـــر وعرفان

نسجد لله تعالى شكرا و عرفانا لما وفقنا الله اليه في اتمام

هذه المذكرة الى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا هذا الى

كل من وقف على المنابـــر و أعطى حصيلة فكـره لينيـــر دربنا

الى الأساتذة الكرام في قسم التاريخ

و نتوجه بالشكر الجزيل الى الأستاذ بومدين كعبوش الذي تفضل

بالإشراف على هذه المذكرة فجزاه الله عنا كل خير و له منا كل التقدير و الاحترام

الى الأخ نور الدين بن الصديق شكرا لك على ما جدت به بغية نجاحنا فعسى ان يعود عليك بالأجر و الثواب

اهـــــداء

الى نور العيون ورمش الجفون و القلب الحنون الى ينبوع التفاؤل الى حكمتي وعلمي الى ادبي و حلمي الى طريقي المستقيم الى طريق الهداية الى كل من في الوجود بعد الله و رسوله **امي الغالية**

الى من أحمل إسمه بكل فخر الى من علمني الصبر الى سندي و عوني و قدوتي الى من جعل من نفسه شمعة تحترق من أجل أن ينير دربي الى من عمل على راحتي و سعادتي **ابي الغالي** .

الى النجوم و الكواكب الى الورود البهية الى من أثروني على أنفسهم إخوتي وأخواتي

الى من كانوا ملاذي و ملجئي إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات الى رفيقات العمر والدرب **صورية، نورة ،نور الهدى**

الى زملائي في الدراسة

الى عروس قلبي بهية الطلة **ملك آية الرحمان**

الى زوجي المستقبلي و نور حياتي **مصطفى حجاج**

مسعودة

اهـــــداء

إلى من ربتني و انارت دربي و اعانتني بالصلوات

و الدعوات الى أغلى إنسان في الوجود أمي الحبيبة

إلى من عمل بكد في سبيلي و علمني معنى الكفاح و أوصلني الى ما أنا عليه

أبـــي الكريم ادامه الله

إلى الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وحرص علي منذ الصغر و اجتهد في تربيتي

والإعتناء بي زازة سليمان

وإلى أفراد أسرتي ، سندي في الدنيا ولا أحصي لهم فضل خاصة أخوتي و إخواتي

إلى صديقاتي الغاليات مسعودة ، نورة ، سمية ، نور الهدى ،امينة

الى قرة عيني و فلذة كبدي ،الغالي و القريب الى قلبي

جـــواد عـبـد الـــودود

إلى كل من سقط من قلمي سهوا

أهـــدي هذا العمل

صـوريـــة

مختصرات الرسالة

الرمز	معناه
(د–ت)	دون تاريخ النشر
ت	توفي في
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متتابعة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

مقدمة :

شهد العالم الإسلامي اثناء القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي حركة استعمارية لم يشهد لها مثيل في العصر الوسيط ، و إتخذت هذه الحركة الدين ستارا لإخفاء ما تنطوي عليه من المطامع والأغراض ، و تتمثل هذه الحركة فيما هو معروف بالحروب الصليبية ، فترتب عن ذلك صراع مسيحي إسلامي في فترة حاسمة في التاريخ السياسي الإسلامي في المشرق ، الذي عرف تفكك و صراع داخلي أدى الى نجاح الحملة الصليبية الأولى التي تمكنت من تكوين إمارات صليبية في الأراضي الإسلامية ، فعبث فيها الصليبيون فسادا فسفكت الدماء ، الى أن جاءت فترة من الزمن كبصيص من الأمل لمجابهة هذا الخطر الصليبي ، تمثل هذا في سعي الأمراء و القادة المسلمين ، أمثال الأسرة الزنكية و الأيوبية ، حيث عملوا الى القضاء على أسباب هذه التفرقة ، فاعلنوا حركة الجهاد الديني ، فأحرزوا من الإنتصارات ما أدى الى توحيد مصر و الشام و أعالي الجزيرة ، و بذلك تم حصر الصليبيين على الساحل و تلى ذلك إزالة الخلافة الفاطمية وعودة الديار المصرية الى المذهب السني فتحققت بذلك الوحدة الروحية أيضا . و تيسر لصلاح الدين عندئذ أن يقهر الصليبيين ، و أن يسترد معظم ما إستولوا عليه من الأراضي و أضحت هذه السياسة هي القاعدة التي جرى عليها الأيوبيين و من خلفهم حتى انقطع دابر الصليبيين من الشرق .

فقد عرف المشرق عدة حروب و مناوشات بين القوى الإسلامية و المسيحية ، حيث حشدت القوى الإسلامية من شتى الأنحاء الإسلامية للجهاد ضد المسحيين الصليبيين و نذكر في هذا الصدد مشاركة المغاربة في هاته الحروب ، و قد ارتأينا ان تكون محط دراستنا هاته ، لما عرف من الرحالة المغاربة المتواجدين في المشرق (مصر – الشام) في هذه الحروب ، حيث عمل هؤلاء الى جانب إخوانهم المشارقة من أجل رفع راية الإسلام و الدفاع عن مقدساته ، فلم تكن مشاركتهم متواضعة بل كانت محط تشريف للعنصر المغربي ، لم تكن فقط رهن على المغاربة المتواجدين في المشرق بل تعدى ذلك الى قدومهم الى بلاد الشام من بلادهم خصيصا للمشاركة في تحرير بيت المقدس و نيل شرف الجهاد على الرغم من أهمية هذا الموضوع إلا أن الأقلام لم تفض به فلطالما حملت فلسطين مكانة رفيعة لدى المغاربة فكيف لا و هي أرض الأنبياء و الرسل .

دوافع إختيار الموضوع :

إن تشبثنا بهذا الموضوع دون غيره من المواضيع يرجع بالدرجة الأولى الى الرغبة في الخوض فيه وذلك نتيجة لشعورنا بوجوب التطرق لتاريخ أجدادنا في تلك البقاع المقدسة ، و أيضا وجوب الكتابة و بنهم عن هذا الموضوع الذي يسهم في الإلتفاف والشعور بالواجب نحو فلسطين أرض الشهداء والإسلام ، لاسيما ان عدم الإهتمام بمعالجته و التطرق اليه بصفة مباشرة من طرف الباحثين ، فأردنا ان نسلط الضوء على هذا الجانب الذي تمثل في دور المغاربة في مصر و الشام أثناء الحروب الصليبية في الفترة الدولة الزنكية و كذا الأيوبية إضافة الى را غبتنا في تقصي الحقائق المبهمة في تاريخ هؤلاء ، كما أن توجه أساتذتنا الكرام خلال الدراسة النظرية لهذه السنة الى مثل هذا الموضوع و الذي كان بمثابة دفعة قوية وحافز جعلنا نختار هذا الموضوع .

الإشكالية :

عرفت بلاد الشام و مصر تدفق للعنصر المغربي أثناء الحروب الصليبية مما دفع بالمغاربة الى المشاركة في هذه الحروب .

لذلك فيما تمثل دور المغاربة في بلاد مصر و الشام اثناء الحروب الصليبية في فترة حكم الزنكيين و الايوبيين ؟

و تفرع عن إشكالية الموضوع عدة تساؤلات جزئية نذكر منها :

ما المقصود بالمغاربة ؟ و ماهي خلفيات وجودهم في بلاد الشام و مصر ؟ و ماهي أبرز مشاركاتهم في الحروب الصليبية؟ وهل كانت هاته المشاركة فعالة ؟ و وفيما تجلى دورهم الحضاري في المشرق ؟

خطة البحث :

للإجابة عن الإشكالية و ما نتج عنها من تساؤلات ، قسمنا بحثنا هذا الى مقدمة و ثلاثة فصول كل فصل يتضمن مجموعة من المباحث و خاتمة و ملاحق توضيحية ، على النحو التالي :

المقدمة :

مهدنا فيها للموضوع المعالج ووضعنا الإطار الزماني مع إدراج الإشكالية و المنهج المناسب لحل تلك الإشكالية.

الفصل التمهيدي:

و الذي جاء معنونا ب " الوجود المغاربي في المشرق (مصر و الشام)قبل الحروب الصليبية وماهية الحروب الصليبية "و الذي تطرقنا فيه الى جزئيين تمثل الجزء الأول في (الوجود المغربي في مصر و بلاد الشام قبل الحروب الصليبية) تناولنا فيه التعريف بالمغاربة و حدود بلادهم ، و ذكرنا أسباب توطن المغاربة في مصر و الشام و ذهبنا ايضا الى ذكر أسباب إعتماد الحكام في كل من مصر والشام على المغاربة في الأمور العسكرية .

أما الجزء الثاني : تناولنا فيه (الحروب الصليبية) حيث أوردنا فيه اشكالية المصطلح بالإضافة الى أسباب و ظروف هاته الحروب ، و تطرقنا الى بداية الحملات الصليبية على المشرق و كذلك أهم الحملات في عهد كل من الزنكيين والأيوبيين . وفي ختام هذا الجزء تكلمنا عن نتائج هاته الحروب .

الفصل الأول :

والذي كان تحت عنوان " دور المغاربة العسكري لصد العدوان على المشرق (مصر و الشام) وتضمن لأهم المحاور أبرزها التشكيلات العسكرية للمغاربة أثناء الحروب الصليبية التي شملت أول مشاركة عسكرية للمغاربة ضد الصليبيين في مصر وبلاد الشام التي ذكرتها المصادر ، و

أيضا الجنود الذين شاركوا في الجيش المشرقي سواء كمحاربين او مرافقين للجيش ، ضف الى ذلك الدعم المالي الذي قدمه المغاربة للجيش ومن أهم ما تناوله هذا الفصل جهاد المغاربة البحري و دورهم في الأسطول و هذا نظرا لبراعة المغاربة في ركوب البحر و القتال ، و زيادة على ذلك المناصب العليا في الأسطول البحري التي تبوأها المغاربة و أهم المعارك التي شارك فيها المغاربة و التي تعتبر معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي و ما نتج عن ذلك من أسر للجنود المغاربة و في آخر هذا فصل ذكرنا استنجاد صلاح الدين بالسلطان المغربي و خلفيات ذلك :

الفصل الثاني :

و الذي جاء تحت عنوان " صور المغاربة الحضاري في المشرق (مصر و الشام)في فترة الحروب الصليبية و من أبرزها رحلة الإدريسي و ابن جبير ، و ابن سعيد المغربي و التي تناولنا فيها مميزات كل رحلة و أسبابها .

حيث كان هؤلاء الرحالة من مؤرخي الحروب الصلبية و من معاصيرها ، وتطرقنا كذلك الى دور العلماء المغاربة اثناء الحروب الصليبية و تكلمنا عن العلماء المغاربة الذين قطنوا بلاد الشام و مصر و اشتغلوا بها كأطباء ،فقهاء ، أدباء ، و شعراء ،بالإضافة الى المدارس المغاربة ،او التي درس بها العلماء المغاربة ، و دورهم فب الصراع الإسلامي الصليبي .

و خصصنا مبحث بالكامل من أجل التطرق الى أحد هؤلاء العلماء و هو ابي مدين شعيب الغوث نظرا لما كان له من مكانة لدى المشارقة و نتيجة لذلك تم منحه أوقاف في بيت المقدس الشريف ، ضف الى ذلك ربطات المغاربة في القدس و الذي يبين أهمية المغاربة في المشرق من شتى النواحي و تمثلت هاته الربطات في حارة المغاربة و الأوقاف الرسمية و الأهلية التي شملت السلاطين سواءا مغاربة او مشارقة و الأهالي المغاربة الأثرياء الذين ساهموا بأموالهم لوقف العقارات لعابري السبيل و المقيمين في القدس .

لنكمل بخاتمة عرضنا فيها حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا اليها خلال بحثنا ، و التي تم و ضعها على شكل عناصر .

حيث دعمنا بحثنا هذا بعدة ملاحق توضيحية .

المنهج المتبع :

إتبعنا في بحثنا هذا على المنهج تقتضيه طبيعة الموضوع و هو المنهج التاريخي ،الذي إهتم بسرد الحقائق و الوقائع التاريخية في إشراك المغاربة في الحروب الصليبية في مصر و الشام ، و المنهج الوصفي الذي يقوم بوصفها و تقديمها في شكل صورة واقعية ، و المنهج التحليلي ، الذي يحلل هاته الحقيقة التاريخية .

نقد المصادر و المراجع :

أما عن المادة التوثيقية التي إعتمدنا عليها في هذا البحث فتمثلت في العديد من مصادر و المراجع التي تناولت هذا الجانب و من اهمها نذكر :

ا–المصادر :

الرحلة لابن جبير حيث أفادنا هذا المصدر في بحثنا فتقريبا إستخدمنا مادته في أهم المجريات هذا البحث حيث تناول ابن جبير خلفيات وجود المغاربة في بلاد الشام و مصر و أيضا براعة المغاربة في الجهاد البحري واستخدامهم في الأسطول البحري من قبل السلاطين و كذلك في ذكر أبرز الشخصيات المغربية سواء في المجال العسكري او العلمي و أيضا من أهم ما تناوله هذا المصدر الأسرى المغاربة و مكانتهم لدى الحكام خاصة و الأهالي (عامة)عموما .

" الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية " لابي شامة شهاب الدين المقدسي ، و الذي يعتبر كمصدر أرخ للحروب الصليبية أثناء حكم الزنكيين و الأيوبيين ، فأسهم هذا المصدر في إثراء بحثنا من خلال تأريخه لأهم المعارك التي شارك فيها المغاربة بالإضافة الى سفارة صلاح الدين الأيوبي للسلطان الموحدي و خلفيات ذلك ، حيث أوردنا منه الملاحق التي تناولت رسائل هاته السفارة سواء رسالة القاضي الفاضل لابن المنقذ او رسالة السلطان صلاح الدين الايوبي للسلطان الموحدي يعقوب المنصور ، زد الى ذلك ذكره لأهم العلماء المغاربة الذين شاركوا بالسيف او بالقلم و أيضا المدارس المغربية .

إستخدمنا ايضا كتب التراجم على رأسها كتاب "تراجم الرجال القرنين السادس و السابع " المعروف بالذيل على الروضتين لابي شامة المقدسي الذي أسهم في ترجمة العديد من الشخصيات التي تناولها هذا البحث ، و نذكر من هاته الكتب " فوات الوفيات " لابن شاكر الكتبي " معجم الأدباء " ياقوت الحموي " الوافي بالوفيات " للصفدي صلاح الدين بن ابيك " عيون الانباء في طبقات الأدباء " لابي اصبيعة بالإضافة الى كتب الجغرافيا "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق " للإدريسي " السلوك لمعرفة دول الملوك " تقويم البلدان لأبي الفداء" .

ب/المراجع :

و من المراجع التي إعتمدنا عليها " الحروب الصليبية في المشرق و المغرب " لمحمد العروسي المطوي ، الذي أسهم في تلخيصنا للفصل التمهيدي ، خاصة في جزء ماهية الحروب الصليبية و كذلك أهم المعارك التيس شارك فيها المغاربة بالإضافة الى " التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم" لعبد الهادي التازي ، الذي تناول أهم القادة الذين تولوا أمور الأسطول و ذكره لإستنجاد صلاح الدين الأيوبي بالسلطان الموحدي و نتائج ذلك و ايضا إستخدمنا مؤلفات أخرى لهذا المؤرخ منها " أوقاف المغاربة في الأندلس ".

الصعوبات التي اعترضتنا في هذا البحث : يعتبر موضوعنا هذا موضوع جديد لم يتم دراسته بشكل مباشر و قد شحت الأقلام فيه ، و لم تزخر المصادر به فقد كتبت عن الموضوع بصفة نادرة ، حيث واجهنا صعوبة في التوفيق بين الجانب العسكري و الجانب الحضاري و ذلك لإهتمام المؤرخين بالجانب الحضاري العلمي اكثر من الجانب العسكري .

و نتمنى ان نكون قد أسهمنا بهذا العمل ولو بقدر يسير في دراسة تاريخنا و كشف بعض حقائقه ، و نرجو ان يكون عملنا هذا خطوة تليه خطوة أخرى قادمة لدراسة ذات الموضوع بأكثر تفاصيل و على نحو افضل .

الفصل التمهيدي

الوجود المغاربي في المشرق(مصر والشام)قبل الحروب الصليبية وماهية الحروب الصليبية

المبحث الأول : وجود المغاربة في مصر والشام قبل الحروب الصليبية

المبحث الثاني : الحروب الصليبية

المبحث الأول: وجود المغاربة في مصر والشام قبل الحروب الصليبية

أ) المغاربة وحدود بلاد المغرب

المغاربة هم سكان بلاد المغرب فهـو مصطلح يطلق على كل الأقاليم الواقعة غرب مصر والتي تشمل حاليا البلاد الليبية وتونس والجزائر والمغرب. عرفت بلاد المغرب منـــذ اقدم العصور بأسماء مختلفة فقد أطلق عليها اليونان اسم ليبيا على القسم الشمالي من إفريقيا الآهل بالسكان البيض، وقابلوا بينه وبين صحراء بلاد السودان[1].

اختلف الجغرافيون المؤرخون المسلمون في تحديد المغرب فجعله البعض يشمل بلاد شمال افريقيا الى جانب إسبانيا الإسلامية وكافة الممتلكات الإسلامية في البحر المتوسط مثل الصقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردينيا و كورسيكا وجزر البليار . وذكر لنا أبو الفدا في كتابه تقويم البلدان حدود بلاد المغرب بقوله [2]:"يحد بلاد المغرب من جهة الشرق حدود ديار مصر ظهر الواحات الى بحر الروم عند العقبة التي على طريق المغرب من برقة وإسكندرية على بحر الروم ، ومن الشمال بحر الروم من العقبة المذكورة ثم بحر الزقاق عند سلا وطنجة الى صحراء لمتونه ، ومن الجنوب المفازة الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب".

وحدد ابن عذارى في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب بلاد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية الى مدينة سلا[3].

1–د– موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ،الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1981 ، ص 30

2–ابو الفداء عماد الدين اسماعيل ، تقويم البلدان ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص 156

3–ابن عذارى ابو عبدالله محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت لبنان ، مكتبة صادر ، 1947–1950 د، ط، ص 16

وتنقسم بلاد المغرب الى ثلاثة أقسام[1]:

1) المغرب الأدنى:

يسمى إفريقية كانت عاصمته مدينة القيروان أيام حكم الاغالبة ثم المهدية أيام الفاطميين ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين الى اليوم وأطلق عليه العرب المغرب الأدنى لأنه الأقرب الى بلاد العرب ودار الخلافة.

2) المغرب الأوسط:

يمتد من تاهرت حتى واد ملوية وجبال تازة غربا. وقاعدته مدينتي تلمسان والجزائر بنني مزغنة وكانت عاصمته تاهرت أيام الرستميين وفي أيام الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت حكم الفاطميين في حكم المغرب صارت العاصمة أشير ثم انتقلت الى مدينة تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الواد وبني زيان في القرن السابع هجري والثالث عشر ميلادي .وكان يسكن المغرب الأوسط من البربر قبائل زناتة ومغراوة وبني يفرن وديونة ومغيلة و مطغرة و مطماطة .

3) المغرب الأقصى:

يمتد من وادي ملوية شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا ، والبحر المتوسط شمالا ، وجبل درن جنوبا وسمي بالمغرب الاقصى لأنه أبعد اقطار المغرب الثلاث عن دار الخلافة.

قد نلاحظ في كثير من المصادر كلمة "الغرباء"[2] فهذا المصطلح يدل على المغاربة المتواجدين بغير ديارهم خاصة الوافدين على المشرق، فقد دون هذا المصطلح في مدونات كتب رحلات الحج المغاربية (ابن جبير ، ابن بطوطة مثلا) وقد جاءت مقرونة بالجالية المغاربية والأندلسية المتواجدة في المدن المشرقية ، وذلك لكثرة المرافق الموقوفة على الغرباء عامة والمغاربة خاصة في بلاد مصر

1–الادريسي ابو عبد الله محمد ابن محمد ، وصف إفريقية الشمالية والصحراوية ، مأخوذ من نزهة المشتاق ، الجزائر ، معهد الدروس العليا الإسلامية ، 1957 ،ص 46

2–ابن جبير ابو الحسن محمد بن احمد ، الرحلة ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، 1981 ، ص 200

والشام . اما معنى كلمة المغاربة فهي للدلالة على أعلام الغرب الإسلامي أي منطقة المغرب بالإضافة الى الأندلس وذلك من خلال المصادر التي لا تقيم تمييزا واضحا بين الأندلسيين والمغاربة.

ب)أسباب توطن المغاربة في مصر والشام :

في أغلب الحالات وانطلاقا من المعلومات المتوافرة في كتب التراجم نستنتج أنه من الصعب تحديد تاريخ محدد لتوافد المغاربة والأندلسيين على المشرق بشكل عام على الرغم من ذكر بعض الرحالة والعلماء وحتى التجار لتواريخ أسباب رحلاتهم[1] .ومع ذلك ليس من العسير استنتاج أسباب وجودهم بالبلدان المشرقية وذلك باعتبار الظروف والتطورات التي طرأت على الساحة السياسية بالغرب الإسلامي ، ففضلا عن الرحلات العلمية والدينية .

ويمكن تلخيص هذه الاسباب في ما يلي[2] :

1. الأسباب المتعلقة بالأندلس :

- ❖ سقوط الخلافة الأموية بالأندلس وظهور ما يسمى في تاريخ هذه المنطقة ب"دويلات ملوك الطوائف" ونتائج ذلك على أوضاع الأندلسيين الاقتصادية و الإجتماعية والنفسية .
- ❖ تعاقب أسر ذات خلفية مذهبية وعقائدية مختلفة على حكم هذه المنطقة بعد سقوط ملوك الطوائف تتمثل في دولة المرابطين (485هـ/541هـ) ودولة الموحدين (541هـ/668هـ) هذا التبدل رافقه تبدل عقائدي الأمر الذي أضر بمصالح فئة مهمة من الأندلسيين أصبحت معارضة للحكم [3]، وتمخض عنه حروب شبه مستمرة بين الدول الحاكمة والمعارضين تسببت في اضطراب الأوضاع بالأندلس ، مما دفع بالكثير بالهجرة الى أقطار اخرى.

1–ابو شامة ، شهاب الدين المقدسي ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1947 ، ص 7–186–

2–علي احمد ، الاندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى القرن التاسع ، دار النهضة بيروت ، 1989 ، ص 90

3–نفس المرجع ،ص 94

❖ ما تمخض عن الحروب الاسترداد التي انتهت بشكل نهائي في حدود 659هـ باستثناء غرناطة من الإجراءات قاسية فرضت على من آثر البقاء من العرب المسلمين في مدنهم شروطا بلغت حدا من الإهانة مما أجبر أعداد كبيرة من الأندلسيين على النزوح عن أراضيهم الى أقطار عربية اسلامية متعددة.

2. الأسباب المتعلقة بالمغرب:

❖ نقل مركز حكم الدولة الفاطمية الى مصر وآثار ذلك على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمنطقة بلاد المغرب (فقدان إفريقية لمكانتها الاقتصادية نتيجة اهتمام الفاطميين بالمشرق ورحيل بعض القبائل المغربية الى المشرق) .

❖ التنافس في أمور التبذير بين الولاة الذين تركهم الفاطميون في المهدية وبين أسيادهم في القاهرة

❖ دخول قبائل بني هلال وبني سليم الى إفريقية وما نتج عن ذلك من خراب وتدمير أوقع البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب الدائمين.

❖ الهجوم النورماندي على إفريقية واستيلاء ملوك صقلية المسيحيين على المهدية وكل المناطق الساحلية .

❖ بداية تفوق أوروبا في الملاحة وانعكاس ذلك على الأحوال الاقتصادية.

❖ قيام الدولة الموحدية وما ترتبت عليه من مضايقة أنصار المرابطين.

بالإضافة الى ذلك ما ذكره اسامة بن منقذ يذكر ان الفرنجة استولوا في حدود منتصف القرن السادس الهجري على مركب يقل على متنه ما يقارب 400 نفس ، نساءا ورجالا من الحجاج المغاربة و أولياء الأمور ، ومن بينهم اسامة نفسه عملوا ما في وسعهم من أجل افتدائهم من أيدي الصليبيين[1]. ويخبرنا ابن شامة عن مغاربة أندلسيين قدموا الى دمشق في سنة 627هـ ،وبعدما تم افتكاكهم على ساحل الشام من أيدي الفرنجة [2]ويفترض كلود كاهن()ثلاثة أصول

1–اسامة ابن منقذ ، كتاب الاعتبار، تحرير فيليب حتى ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص 81

2–ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 186

محتملة لوجود المغاربة بالبلاد المشرقية ، حجاج القى عليهم الفرنجة القبض في طريقهم الى الحج او كان قد طال مقامهم من أجل المشاركة في الجهاد فأسروا، وتجار كان لهم المصير نفسه او التجار او الحجاج أسرهم في البحر القراصنة الصليبيون وباعوهم على سواحل بلاد الشام هذه الاحتمالات بالإضافة الى الرغبة الملحة للمغاربة في الجهاد وتحرير المدن الإسلامية التي سيطر عليها الصليبيون عموما وبيت المقدس على الخصوص [1].

ج) تواجد المغاربة في مصر و الشام:

ان مصر تقع على الطريق الرئيسي للحجاج المغاربة والأندلسيين القاصدين أرض الحجاز للحج ولوفرة الإمكانيات الاقتصادية "التجارة _الصناعة _ الزراعة "وهذا ما أكده لنا الرحالة بنيامين التيطلي الأندلسي الذي زار مصر خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري يقول في وصفه "وبالإجمال ليس في العالم كله بقعة آهلة للسكان كثيرة الزروع مثل مصر الواسعة المليئة بالخيرات "[2]. كما تعد مدينة الإسكندرية رباطا إسلاميا كبيرا لذا جلبت اليها المجاهدين والمتصوفين المغاربة الذين الفوا الربطات والأروقة في المساجد باسم المغاربة ، وهنا تبين كثافة الوجود المغربي الأندلسي بين أواخر القرن السادس وأواخر القرن السابع هجري ،وهي مدة ازدهار العطاء المغربي فقد وجدوا في مصر العناية والحفاوة والتكريم على كل صعيد (الرسمية والشعبية) منذ فترة حكم نور الدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي حتى نهاية الدولة المملوكية [3].

وكانت بلاد الشام ملائمة جدا لإقامة الأندلسيين والمغاربة من جميع النواحي، بسبب الظروف الطبيعية والاقتصادية التي تجسدت بتوفر سبل العيش ، إضافة الى المعاملة في منح نورالدين الزنكي زاوية المالكية بالمسجد الجامع المبارك ، وأوقافا كثيرة منها طاحونتان وسبعة بساتين وأرض بيضاء وحمام ودكاكين للعطارين ، وكما حدث في زمن نور الدين حدث مثله في عهد صلاح

1–ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 247

2–علي احمد ، مرجع سابق ص 102

3–نفس المرجع ، ص 104

الدين ومن جاء بعده من الأيوبيين والمماليك [1]، نضرب على ذلك مثالا مما قاله الرحالة ابن بطوطة عند زيارته للمشرق العربي وبالذات دمشق "...كان بدمشق فاصل الملك الناصر<دينكز> يسمى عماد الدين القيصراني من عادته أنه متى سمع ان مغربيا وصل الى دمشق بحث عنه و أضافه و أحسن اليه ، فان عرف عنه الدين و الفضل امره بملازمته و كان يلازمه منهم جماعة ، وعلى هذه الطريقة علاء الدين بن غانم و غيره"[2] .

د) أسباب اعتماد الحكام في كل من مصر و الشام على المغاربة في الأمور العسكرية

لقد كان للموقع الجغرافي للمغرب الإسلامي دورا بارزا في تمرس المغاربة بأمور البحر و قد لاحظ ابن خلدون ذلك عندما قال ".... و الساكنون بسيف هذا البحر (البحر الابيض المتوسط)و سواحله من عدوته يعانون من أحواله مالا تعانيه أمة من أمم البحار فقد كانت الروم و الإفرنجة و القوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي ، و كانت اكثر حروبهم و متاجرتهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبهم و الحرب في أساطيله و لما أسف من أسف ، منهم الى ملك العدوى الجنوبية مثل الروم ، الى إفريقية و القوط الى المغرب أجازوا في الأساطيل و تغلبوا على البربر بها و انتزعوا من أيديهم أمرهم ،و كانا لهم بها المدن الحافلة مثل قرطا جنة و بسطيلة ...و طنجة ، و كان صاحب قبلهم يحارب صاحب رومة و يبعث الأساطيل لحربه مشحونة بالعساكر و العدد فكانت هاته عادة لأهل هذا البحر ، الساكنين حقا فيه معروفة في القديم و الحديث "[3].

ويذكر المقريزي ايضا ان فقراء المغاربة الذين وجدوا في القاهرة قد أكرمهم الفاطميون على الخدمة دون تمييز في الأسطول المصري[4]، لكونهم يتمتعون بسمعة حميدة ، و ايضا لشهرتهم في ميدان البحر و يتعلق الأمر هنا بأهل إفريقية على الخصوص [1].

4- ابن جبير، مصدر سابق ، ص 250

1-ابن بطوطة ، الرحلة ، دار المعارف ، مصر،1954، ص 101

2-ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 199

3-المقريزي ، المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطب و الاثار ، بولاق ،1853،الجزء الاول ،ص398

اما بن سعيد المغربي[2] فقد ذكر ان الأساطيل كانت وقفا على المغاربة لمعرفتهم بمعناة الحرب والبحر[3]. كما ان العدد من البحريين في العصر الفاطمي كانوا مغاربة عرفوا بمهارتهم في قيادة السفن والملاحة في البحر منذ وقت مبكر[4]، ويذكر ايضا "وسائر الفقراء لا يتعرضون إليهم بالقبض للأسطول الا المغاربة . فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعناة البحر ، وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لم يعرف . وهم في القدوم اليها بين حالين : ان كان مغربيا غنيا طولب بالزكاة ، وضيقت عليه السعاة وان كان مجرد فقيرا حمل الى السجن حتى يحين وقت الأسطول " [5].

4–جواتيان ، دراسات في التاريخ و النظم الاسلامية ، تحقيق عطية القوصي ،وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الاولى 1980،ص 245

1–ابن سعيد المغربي ، مصدر اعتمده المقري في كتابه نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب

2–المقري ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1949 ،الجزء الثالث ص111

3–العبادي احمد مختار، البحرية الإسلامية في مصر و الشام ، الجزء الثاني ، دار النهضة ،بيروت ،1981،ص130

4–المقري ، مصدر سابق ، نقلا عن سعيد المغربي ص 112

المبحث الثاني: الحروب الصليبية :

أ.اشكالية المصطلح :

أولى مشكلات البحث في الحركة الصليبية تتمثل في المصطلح ومدلولاته المختلفة التي تؤدي بالضرورة الى حال من الفوضى والارتباك ، سيما اذا كان المصطلح ذاته يحمل تناقضا بين دلالته اللغوية ،وحقيقته التاريخية[1] ، ومن المهم هنا ان نشير الى ان الرجال الذين قاموا بالحملة الصليبية لم يستخدموا مصطلح الحملة الصليبية او الصليبيين ،اذ لم يحدث سوى في أواخر القرن الثاني عشر ميلادي ان ظهرت الكلمة اللاتينية (**crusesignati**)ومعناها الموسوم بالصليب لكي تعبر عن الصليبيين لأنهم كانوا يخيطون صلبان القماش على ستراتهم [2]. ولم يحدد حتى اوائل القرن الثالث عشر ميلادي ان كانت هناك كلمة لاتينية تعني الحركة الصليبية وفي بداية الأمر كان من يشاركون في الحملة الصليبية يوصفون بأنهم "حجاج" _(**preregrini**) وغالبا ما استخدمت عدة تعبيرات ومصطلحات اخرى مثل عبارة (**peregrinertio**) ومعناها رحلة الحج التي كانت شائعة في الفترة المبكرة من تاريخ الحركة الصليبية[3] كذلك استخدمت كلمة (**expeditio**) التي تعني الحملة ، وعبارة الرحلة الى الأرض المقدسة وإصطلاح الحرب المقدسة ؛ وطريق "الحاج" الى كنيسة القيامة ، بإمكاننا اخذ الكثير من الأمثلة المستقاة من كتابات المؤرخين اللاتين الذين عاصروا الحركة الصليبية ان كتاباتهم خلت من كلمة الصليبيين او الحملة الصليبية وإنما دارت حول " الحملة " "حجاج بيت المقدس " " الفرنج"...الخ[4]، فأخذوا هاته الحرب الى البعد الديني فقالوا أنها حروبا دينية مقدسة قام بها أناس غلب عليهم شعور

1–ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور سيد باز العريني ، دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، بيروت لبنان ، ص 9

2–بدات هذه الممارسة عقب خطبة اوربان الثاني في كلارمون اذ اسرع الافرنج (...بمجرد سماع هذه الكلمات ، يخيطون الصليب على الكتف الايمن لعباءاتهم قائلين انهم جميعا سوف يقتفون اثر خطوات المسيح)

3–قاسم عبدو قاسم ، الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية ، عين الدراسات والبحوث الاجتماعية ، الطبعة الثانية ، 1999، ص 43

4–نفس المرجع ص 44

التقوى والورع والإخلاص لدينهم ولكنيستهم .فرغبوا في استخلاص الأراضي المقدسة من المسلمين بالشام[1] .

فالحروب الصليبية تعتبر ذروة الإحياء الديني الذي بدأ في غرب أوروبا أثناء القرن العاشر ميلادي ، وارتفع شأنه في القرن الحادي عشر ميلادي . وتعتبر هذه الحروب من ناحية اخرى فصلا بل أهم الفصول في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب[2] ، واعتبرها المعاصرون وسيلة جديدة للخلاص فإن لهذا معنى ارتبطت بتطور مبدأ التوبة وباعتبارها السياسة الخارجية للكنيسة ، تعلقت بالحروب الصليبية بما حدث من التطهير الديني وتوجيه المجتمع الإقطاعي وغرائزه الذي تمثل فيما هو معروف بالسلام الإلاهي [3].

وكذلك نجد من تصور ان الصليبيات ماهي إلا السياسة الخارجية للبابوية ، على اعتبار الدور البارز الذي قامت به البابوية [4]في الإعلان عنها او الإشراف الروحي عليها من خلال ما توافر للمؤسسة الدينية في الغرب الأوروبي حينذاك من نفوذ كبير ، حيث يقول حسن الحبشي بأن الحروب الصليبية ذات صبغة استعمارية حيث قرر انها بذرة الاستعمار الأوروبي الغربي للشرق الأولى تحت ستار الدين ، والحركة الصليبية في نظر فريق آخر من المؤرخين ليست إلا وسيلة تحايل بها الغرب الأوروبي للخروج من أنماط العصور الوسطى والانطلاق الى حياة أوسع وأرحب.

1–بلال الشافعي ، التباين في المفاهيم في مصطلح الحروب الصليبية بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية ، ص 18

2–قاسم عبدو قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1990، ص8

3–ارنست باركر ، مرجع سابق ص 10

4–عزيز صوريال عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة دكتور فيليب صابر يوسف ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ص 28

ب. أسباب وظروف الحروب الصليبية :

لقد اختلف المؤرخون في تعداد هذه الأسباب وتنويعها. لكن مهما كان هذا الاختلاف فإن الأسباب التي حملت أوروبا على إعلان الحروب الصليبية ترجع الى غرضين أساسيين هما[1]:

1. رد الفعل النصراني المشبع بالحقد ضد العالم الإسلامي .
2. دافع الطمع والكسب الذي اختلفت أنواعه وأشكاله .

وسنرى ان أغلب أسباب الحروب الصليبية ترجع كلها الى الغرضين الأساسين اللذين ذكرناهم أنفا . ومن هاته الأسباب ما يلي[2] :

❖ تهديد القسطنطينية بالاحتلال من طرف السلاجقة ، واستنجاد إمبراطور بيزنطة بالبابا والأمم النصرانية وهذا لما تحمله مدينة القسطنطينية (التي أسسها قسطنطين الأكبر) من بعد ديني فقد كانت طيلة صمودها العدو اللدود والخصم العنيد للإسلام ما بين مدافعة ومهاجمة.

❖ زوار بيت المقدس النصارى وادعاؤهم مضايقة المسلمين لهم وانتهاكهم لحرمات الأماكن النصرانية المقدسة .

❖ الحياة الاجتماعية وسوؤها بأوروبا حيث كانت الطبقة الشعبية في الدرك الأسفل من الانحطاط والاحتياج ، وكانت تلاقي الأمرين من الضرائب والظلم ، زيادة على المجاعة التي عمت أنحاء أوروبا زمن الحروب الصليبية ، فكيف لا تلبي هذه النداءات التي ترى فيها منقذا لها من حالتها البائسة ، ومرسلا بها الى الانعتاق والحرية بالإضافة الى طبقة الأشراف والإقطاعيين، فقد كانت تسودها فكرة تكوين الممالك والإمارات وهذا ما حذا بالكثير من هؤلاء الى تموين حملات صليبية ، وتعبئة الجيوش والتوجه بها الى المشرق حيث يتمكنون من تحقيق مطامعهم وأغراضهم

1-محمد لعروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الاسلامي ، 1982، الطبعة الثانية ، ص 29
2-نفس المرجع ، ص 30

وزيادة على ذلك كان لنظام الفروسية السائد آنذاك أثر واضح في تشجيع غريزة حب الاطلاع والمخاطرات والمغامرات[1].

❖ طمع الأرباح التجارية الذي كان يتمثل في الجمهوريات الإيطالية (جنوة _بيزة_ البندقية) والذي كان له أبعد الأثر في تركز الصليبيين ببلاد الشام ، أمكن لنا ذلك ان نعتبر هذا الطمع حالة مسيطرة على قسم من اهالي أوروبا كانت تدفع بهم الى المساهمة في الحروب الصليبية[2] .

❖ الغرض الديني في الحروب الصليبية وليس معنى تعدد المظاهر السابقة ان الشعور الديني المحض لم يكن موجودا بل كثير ممن شاركوا في الصليبيات تدفعهم عاطفة دينية جياشة.

لم تكن خطب البابا "اوربان الثاني" أقل أهمية من الحالات الاجتماعية التي ذكرناها. فقد استعمل البابا جميع وسائل الإغراء لإثارة الحمية في الصدور ، فزيادة على إعلانه غفران الذنوب و التكفير عن المعاصي لكل مشارك في الحملة الصليبية ، وزيادة على إعفاء حماة الصليب من جميع التكاليف المدنية ، فإن خطبته التي ألقاها في مجمع " كلارمون" في نوفمبر (1095م – 488هـ)يمكن ان تعتبر ملخصا موجزا لجميع ما ذكرناه ، فقد كان في خطبه يضرب على الوتر الحساس كمثل قوله: "وليست هذه الحرب لاكتساب مدينة واحدة فقط بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غنائمها وخزائنها التي لا تحصى ، فاتخذوا محجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المختلسين . وأنتم أملكوها لذواتكم فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبنا وعسلا"[3]واستخلاص بيت المقدس وإنقاذ قبر المسيح _عليه السلام_ وحماية الصليب هي اللحاف التي غطيت به وجمعت فيه جميع الأغراض الأخرى التي اختلف أمرها بالاختلاف هوى كل واحد .

3–مصطفى وهبه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية ، مكتبة الايمان ، مصر ، 1997، الطبعة الاولى ص 14

1–مصطفى وهبة ،مرجع سابق، ص 15

2–سيد علي الحريري ، الاخبار السنية في الحروب الصليبية ، مصر 1329 هـ ، ص 12

❖ موقف الفاطميين بمصر يذكر الكثير من المؤرخين المسلمين من القدماء والمحدثين ان من أسباب هجوم الصليبيين على الشرق الإسلامي [1]هو مراسلة الفاطميين لأمم الإفرنج وتشجيعهم على مهاجمة السلاجقة لأن هؤلاء تغلبوا على الفاطميين وافتكوا منهم البلاد الشامية ، زيادة على الخلافات المذهبية ما بين أهل السنة والشيعة وكانت على أشدها في تلك الحقبة .كما تذكر بعض المصادر ان إتفاقا سريا وقع بين الخليفة الفاطمي و الإمبراطور البيزنطي ضد السلاجقة[2] ، مهما كان موقف الفاطميين بمصر فإنه كان الأقرب الى أسباب نجاح الحملة الصليبية الأولى ، لأن موقفهم في هذه الحملة وتقاعسهم عن إنجاد السلاجقة بل وانتهازهم الفرصة لاحتلال بيت المقدس زمن حصار أنطاكيا من طرف الصليبيين .

ج. اوضاع المشرق والمغرب في المشرق:

في سنة 486هـ_1093م قدم الى بيت المقدس راهب فرنسي يدعى "بطرس الناسك " للحج والزيارة ، ولعله اغتاظ لرؤية السيادة الإسلامية على فلسطين والأماكن النصرانية المقدسة . فعزم على دعوة المسيحيين لإنقاذ الأماكن النصرانية المقدسة من أيدي المسلمين فكر راجعا إلى وطنه فرنسا وعرج على رومة حيث يوجد البابا " اوربان الثاني " والبابا باعتباره الرئيس الأعلى للمسيحيين كان يعمل على تنفيذ فكرة إنقاذ الأماكن المقدسة من أيدي المسلمين ، وكان سلفه البابا (جري جوري السابع) قد فكر في الأمر استجابة لدعوة امبراطور بيزنطي سابق [3]. كما كانت له مشاركة وتأييد في محاربة المسلمين بالأندلس[4] ، وقد اتخذ البابا من بطرس الناسك أداة للدعاية ونشر الفكرة في المجامع العامة ، وسار بطرس الناسك متجولا في إيطاليا وفرنسا ، راكبا بغله معتنقا صليبا . مهيجا للأفكار ، مثيرا للحماسة وكان له تأثير كبير على العامة والرعاة . عمل البابا اوربان الثاني على عقد المجامع الكنيسة للبحث عن كيفية تنفيذ خطة غزو البلاد الشامية ، و تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، فقد كان المجمع الأول بمدينة " بليزانس "

3–ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، الجزء الثامن ، مصر 1947

4–حسن الحبشي ، الحرب الصليبية الاولى ، مصر الطبعة الاولى ، دار المعارف ، ص 70

1–فيشر ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، تعريب مصطفى زيادة والباز العريني ، مصر ، الطبعة الاولى ، 1970 ، ص 174

2–grousset rene. Histoire des croisades paris.plon

بشمالي إيطاليا حضره الكثير من الرهبان والأساقفة والعلماء والسياسيين ، وكان انعقاد المجتمع في مارس 1095م–488هـ ، ولكن هذا المجمع لم يظهر له مفعول لأنه بمجرد ما تفرق الناس قل حماسهم لذلك ، فلما أحس البابا بخيبة مجمع بيلزانس عزم على اختيار مكان أصلح لعقد مجمع ثان فاختار البلاد الفرنسية (موطنه الأصلي)[1] حيث أنعقد مجمع كلارمون فران نوفمبر 1095م [2]ولبى الدعوة كثير من الأمراء ورؤساء الكنائس والفرسان ووفود الملوك ، فقد عقدت عدة جلسات تناول في خطبها خطب تحمل الإثارة والحماسة الدينية إلى الإغراء بخيرات وثروات المشرق .

اتفق كلارمون على أن يكون موعد السفر في 15 اوت 1096م–489هـ [3]وأن يكون اللقاء بمدينة القسطنطينية . وكان هذا الأجل الطويل بين انعقاد المجمع ، وموعد السفر لغرضين :

- ترقب زمن الصيف.
- التهيؤ للتعبئة وزيادة الدعاية للحملة الصليبية .

وقبل الموعد المضروب للسفر ، تكونت كتائب صليبية شعبية على الغاية من الفوضى والاضطراب ، لا تخضع لقيادة منظمة ولا هي بمستوفية لشروط القتال ، أكثرها عزل ومشاة معهم عيالهم من النساء والأطفال ، وكانت هذه الحملة الشعبية بقيادة بطرس الناسك فسارت في إضراب وفوضى ، مخترقة أوروبا الوسطى تسلب وتنهب ومات منها الكثير . ثم وصلت بقايا هذه الحملة إلى القسطنطينية في جويلية 1096م–489هـ وهال الإمبراطور البيزنطي ما عليه هؤلاء الصليبيون من الفوضى والاضطراب وخشي منهم فأسرع بنقلهم على المراكب إلى الضفة الشرقية للبوسفور وبحر مرمرة . وما أن علم السلطان قليج أرسلان السلجوقي بنزول هؤلاء

3–اوربان الثاني ، فرنسي الاصل وقد كان راهبا ربيطا بمدينة كلوني بفرنسا

4–محمد لعروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص 46

1–محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق،ص 47

الصليبيين بآسيا الصغرى حتى هب لقتالهم قرب مدينة نيقيه–عاصمته– وأبادهم عن آخرهم[1] .وبينما كانت جيوش بطرس الناسك تلاقي حتفها قرب نيقيه ، تحت ضربات السلطان السلجوقي كانت حركة التجهيز الصليبي على قدم وساق في فرنسا وإيطاليا من جانب الإقطاعيين والأمراء والأشراف ، ولما تم التجهيز وحان الموعد سارت الجيوش الصليبية على النظام التالي [2]:

1. من جنوب فرنسا تحت قيادة (ريموندي صنجيل) سلكت طريقها من شمال حملة إيطاليا ثم ألمانيا وكرواتيا وبلغاريا إلى القسطنطينية .
2. حملة من شمال فرنسا تحت قيادة (روبرت كورت هوزا) و (روبرت الثاني كونت فلاندر) سلكت طريق شمالي إيطاليا ثم سايرت ساحلها الشرقي وأبحرت من برندسي إلى ألبانيا ثم مقدونيا إلى القسطنطينية .
3. حملة من أعالي فرنسا من برانت في بلاد البلجيك الحالية بقيادة (قودو فروادي بود ويون) وأخيه (بود وين دي بولوني) واخترقت هاته الحملة بلاد ألمانيا ثم المجر ثم القسطنطينية .
4. حملة من جنوب إيطاليا قام بها النورمان الذي استقروا بجنوب إيطاليا ، وأزالوا حكم البيزنطيين بقيادة (تنكريد) و (بوهيموند) أمير تارنت ، وأبحرت هاته الحملة من مرسى برندسي إلى سواحل ألبانيا . ثم اخترفت ولاية مقدونية إلى القسطنطينية[3]، ومن القسطنطينية اتجاه البلاد الإسلامية فكانت هاته بداية الحملات الصليبية على المشرق .

د. أهم الحملات في عهد الزنكيين والأيوبيين:

- نهضة آل زنكي: كانت الحالة الاجتماعية والسياسية بالمشرق الإسلامي من أعظم الأسباب التي ساعدت الصليبيين على نجاحهم في الحملة الصليبية الأولى وتكوين الإمارات

2–د–حامد زيان غانم ، الصراع السياسي و العسكري ين القوة الاسلامية زمن الحروب الصليبية ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1983،ص 23

3–وليام الصوري ،الحروب الصليبية ، ترجمة حسن الحبشي ، الجزء الاول ،مؤسسة الاهرام للنشر و التوزيع ، القاهرة ،1991،ص 139

1–وليام الصوري ، مرجع سابق ،ص 140

اللاتينية . وهذا من خلال النزاعات الداخلية واستمرت هذه الحالة السيئة إلى ما بعد استقرار الصليبيين ، حتى قيض الله رجالا مصلحين عملوا على إزالة تلك العلل قدر المستطاع وقد بدأت هاته الحركة الإصلاحية بنهضة آل زنكي ثم نهضة آل أيوب[1] .

آل زنكي عائلة عرف أول أفرادها زمن السلطان ملكشاه السلجوقي ، وهو قسيم[2] الدولة اقسنقر، حيث ولي مدينة حلب فأستمر عليها إلى أن قتل في معركة بينه وبين تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان سنة 487هـ فترك ولدا وحيدا (عماد الدين). كان عماد الدين زنكي ذا همة عالية ، لا مطمع له إلا تكوين مملكة إسلامية موحدة تقوى على مجابهة الصليبيين، فإشتهر وذاع صيته وكانت المدن تبعث إليه تستنجد به ضد ظلم حكامها وسوء سيرتهم ، فأخذ يحتل المدن والحصون والقرى فتوسعت دولته كما افتك عدة حصون من الصليبيين . كانت مملكة دمشق والممالك الصليبية هي الأعداء الرئيسية لعماد الدين زنكي .

- فتح الرها: وأعظم ما سجله عماد الدين زنكي هو فتحه لمدينة الرها[3] ، وانتصاره على أميرها جوسلين الثاني سنة (539هـ-1144م)[4] فأزال بذلك أول إمارة صليبية من حيث تكوينها ، واستمر عماد الدين في أعماله الجهادية إلى أن اغتيل أثناء حصاره لقلعة جعبر . وهكذا انتهت حياة هذا البطل مخلفا أبناءه من بعده ونذكر من بينهم نورالدين محمود زنكي ، استغل الصليبيون وفاة عماد الدين وانقضوا على مدينة الرها بقيادة جوسلين الثاني ، فاسترجعها نورالدين محمود منه .
- الحملة الصليبية الثانية : يرجع سببها إلى احتلال الرها من طرف عماد الدين زنكي واسترجاعها مرة أخرى على يد ابنه نور الدين محمود وكان الداعي المحرض لهذه الحملة الراهب الفرنسي (سان برنارد) وكان البابا آنذاك (اوجان الثالث) واستجاب لذلك ملك فرنسا (

2-محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ،ص 66

3- قسيم عرفه صاحب وفيات الاعيان بقوله "ابو سعيد اقسنقر ابن عبد الله الملقب قسيم الدولة المعروف بالحاجب ، جد البيت الاتابكي اصحاب الموصل ، الجزء الاول ، ص 271

1- الرها او الاديسة هي مدينة اورفا الحالية بشرق تركيا و لها حرمة عند النصارى لكثرة ما فيها من الاديرة و الكنائس

2-بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، تعريب نبيه فارس البعلبكي ، بيروت ،1950،ص 219

لويس السابع) وإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث) [1]وسارت الجيوش الصليبية سالكة أوروبا الوسطى حتى وصلت القسطنطينية (أكتوبر 1147م-542هـ) أما كونراد الثالث فقد سلك الطريق الذي سلكته الحرب الصليبية الأولى ، فاصطدم مع سلاجقة قونية وأجبروه على التراجع إلى نيقيه ومنها القسطنطينية حيث امتطى سفنا نقلته إلى بيت المقدس على طريق البحر . أما لويس السابع – ملك فرنسا- فقد سلك الطريق الساحلي لبلاد الأناضول تجنبا لملاقاة السلاجقة ، ولكن رغم ذلك التقت به الجيوش الإسلامية السلجوقية وفتكت به (جانفي 1148م-542هـ) في جهة بيسيدي[2] ، التقى لويس السابع بالإمبراطور كونراد في بيت المقدس ، فاستقر أمرهم إلى أن يتوجهوا إلى دمشق ويحتلوها.

حيث انتهى الأمر برفع الحصار عن دمشق 543هـ ويحتلوها نتيجة الخلاف بين القادة الصليبيين وانتهت الحملة الثانية بفشل ذريع والخيبة المرة .

- سلطنة صلاح الدين الايوبي: اختار الخليفة (العاضد) الفاطمي يوسف صلاح الدين وزير له كخليفة لعمه أسد الدين شيركوه ، فعمل صلاح الدين على إزالة الخلافة الفاطمية وإلغائها حيث أمر بقطع الخطبة عن العاضد الفاطمي في المساجد ، والدعاء للمستضيء العباسي[3] فانقرضت الخلافة الفاطمية بموت العاضد يوم عاشوراء 567هـ حيث خلا الجو للملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب وأصبح المتصرف في مصر وصاحب السيادة فيها وبقي تابعا –سياسيا – سيده نورالدين محمود زنكي إلا أنها تبعية إسمية فقط . عمل صلاح الدين على توسيع مملكته وتوحيد الأراضي الإسلامية التي تفككت بعد وفاة نورالدين محمود حيث تصادم مع الصليبيين ، حيث استرجع بيت المقدس 583هـ[4] وانتصاره في معركة حطين وكانت نكايته بصليبيين شديدة .

3-وليام الصوري ، مرجع سابق ، ص210

4-محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص 79

1-د- حامد زيان غانم ، مرجع سابق ، ص36

2-نفس المرجع ، ص 80-

➢ الحملة الصليبية الثالثة: بينما كان الصليبيون يحاصرون مدينة عكا كانت ممالك أوروبا تستعد لحملة صليبية ثالثة أثر الانتصارات الباهرة التي سجلها صلاح الدين الأيوبي ضد الإمارات الصليبية ، واسترجاعه بيت المقدس [1]وقد إمتازت هاته الحملة بأن كان على رأسها أعظم ملوك أوروبا في ذلك الزمان :

- إمبراطور ألمانيا (فريديريك بربروس)
- ملك فرنسا (فيليب اوغسطس)
- ملك الإنجليز (ريتشارد قلب الاسد)

سار الإمبراطور الألماني في جيش يشمل نحو مائة ألف محارب مخترقا بلاد المجر في اتجاه القسطنطينية ؛ وأفزع هذا الجيش الإمبراطور البيزنطي (اسحاق لأنج) فلم يمنحهم أية إعانة أو مساعدة وزيادة على ذلك قام بإخطار صلاح الدين بمجيء الألمان فعبرت الجيوش الألمانية الى آسيا الصغرى على خطى الحملة الصليبية الأولى[2] ، واعترضتهم قوات السلاجقة ولكنها لم تستطع صدهم . فوجدوا في الأرمن خير مساعدة ، إلا أن الإمبراطور الألماني غرق بنهر (سالف) فاضطرب الجيش ورجع غالبه إلى ألمانيا ولم يصل إلى عكا إلا عدد قليل من هذا الجيش .أما الحملتان الفرنسية و الإنجليزية التقتا في صقلية ، وأقاموا فيها مدة طويلة . فلم يكن الملكان الفرنسي والإنجليزي على وفاق ، فقد بارح الفرنسيون صقلية في آخر مارس (1191م-587هـ) بينما الإنجليز بارحوها بعد ذلك لعشرة أيام ، وصل الفرنسيون إلى عكا في 20 افريل فأضافوا للصليبيين بعكا قوة أخرى وشدوا أزرهم[3] .

أما ملك الإنجليز " قلب الأسد " فقد ألقت عاصفة بأسطوله على جزيرة قبرص التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية ، فما كان من قلب الأسد إلا محاربة البيزنطيين والاستيلاء على قبرص والاستقرار بها مدة ، ثم أبحر إلى عكا بعد أن استنجد به ملك بيت المقدس الذي أطلقه صلاح

3-بروكلمان ، مرجع سابق ، ص 232

4-محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية 1095/1291 ، دار المعرفة ، الجامعية ، مصر ، ص 261-262-

1-ارنست باركر ، مرجع سابق ، ص 123

الدين من الأسر ، فاستطاع الصليبيون احتلال مدينة عكا . إلا أن الخلاف الذي دار بين ملك فرنسا وملك الإنجليز حيث رحل الملك الفرنسي إلى بلاده ، أما قلب الأسد أخذ يهاجم القوات الإسلامية محاولا افتكاك بيت المقدس من صلاح الدين الأيوبي .

هـ. نتائج الحروب الصليبية :

كانت نتائج الحروب الصليبية كثيرة فقد أسهمت في تفكك النظام الإقطاعي وجعل الملكية حرة سهلة الانتقال ، وساعدت أيضا على نمو المدن بما حدث من ازدياد حركة التجارة وضخامتها[1] ، حيث استفادت أوروبا من الحروب الصليبية :

❖ الخبرة واتساع النظر : عندما انفتح الأوروبيون على العالم الإسلامي أثناء الحروب الصليبية تغيرت نظرتهم التي كانت عبارة عن تغليط من طرف رجال الدين فقد عرفوا عن المسلمين العلم والحضارة ، حيث لمسوا تفوق سياسي وتنظيم اجتماعي ، فعادوا يحملون انطباعاتهم وينشرون الدعوة إلى الإصلاح الشامل يبدأ بتحرير الفكر وتسهيل التبادل المادي والفكري ويصون الحرية الفردية[2] .

❖ التسامح: كان التعصب يصاحب الجهالة والجمود الفكري فالصليبين عندما هاجموا العالم الإسلامي كانوا مشبعين بروح التعصب المقيت ولكن عندما اختلطوا بالمسلمين واتصلوا بهم بدا منهم التسامح والاعتدال وكان أثر الحروب الصليبية في أخلاق المسيحيين الصليبيين الذين اختلطوا بالمجتمع الإسلامي له صور عديدة ذكر الكثير منها المؤرخين في كتاباتهم .

❖ الطب: ظلت أوروبا في عصورها الوسطى وزمن الحروب الصليبية خاضعة للنفوذ الكنسي وسلطة البابوية فقد كانت متسلطة الكنيسة الغربية تحرم الطب وصناعته لأن المرض عقاب من الله[3]. وظل الطب محجرا عليه ، إلى ما بعد استهلال القرن الثاني عشر للميلادي ، نتيجة اختلاط الصليبيين بالعالم الإسلامي واطلاعهم على أساس العلاج والتداوي بدأت تظهر دور

2-نفس المرجع ، ص 144

3-محمد العروسي مطوي، مرجع سابق ، ص 155

1-كما وقع لمسلمي الاندلس بعد سقوط غرناطة

المعالجات وطرق العلاج الصحيحة في أوروبا منذ القرن الثاني عشر ، فنقلوا الكتب الطبية العربية إلى اللاتينية حيث اشتغل (برنارد سلفستر) و(فيليب الطرابلسي) بالنقل من العربية إلى اللاتينية ، ونقل اصطفان الأنطاكي حول سنة 1127م كتاب" الملكي" في الطب لعلي ابن عباس المجوسي[1] .

❖ التجارة والعمران: استفادت أوروبا من الحروب الصليبية من النشاط التجاري الذي حصل بين الشرق والغرب من خلال التقدم في الملاحة البحرية وتحسين وسائلها ومقوماتها . فكانت السفن تذهب محملة بالجنود والمقاتلين وتعود محملة بالسلع والبضائع فانتقلت الزرابي العربية الفاخرة إلى أوروبا ثم أخذوا في تقليدها والنسج على منوالها إلى اليوم مازال بعض الأقمشة بأسماء عربية[2] ، وانتقلت أيضا النباتات الجديدة في أوروبا مثل السمسم ، الخروب ، الارز... وتأثر الصليبيون بهندسة البناء الإسلامي خصوصا في القلاع والكنائس .

2-عمر فروخ ،أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الأوربية ،ص 9

3-من ذلك(mousseline) نسبة الى مدينة الموصل بالعراق

الفصل الأول

دور المغاربة العسكري لصد العدوان الصليبي على المشرق

المبحث الأول : التشكيلات العسكرية للمغاربة

المبحث الثاني : جهاد المغاربة البحري ودورهم في الأسطول

المبحث الثالث : أهم المعارك التي شارك فيها المغاربة

المبحث الرابع: إستنجاد صلاح الدين بالسلطان يعقوب المنصور الموحدي

المبحث الأول : التشكيلات العسكرية للمغاربة

أولا: إرهاصات عن أول مشاركة عسكرية للمغاربة في الحرب ضد الصليبيين في المشرق:

تعود أول مشاركة للمغاربة في الحرب ضد الصلبيين مع الأسرة الزنكية التي اشتهرت بمناهضتها لصد العدوان الصليبي على الأراضي الإسلامية ولعل من أبرز الأدلة وضوحا وأهمية على اشتراك المغاربة والأندلسيون في الحرب ضد الصليبيين ، حيث يتجلى بالملاحظة التي دونها الرحالة لابن جبير الأندلسي خلال زيارته لبلاد الشام في الربع الأخير من القرن السادس الهجري ، ويبدو أن هذا الإشتراك لم يكن قد اقتصر على فرد بعينه ، بقد ما كان على شكل مجموعة كبيرة العدد ، الأمر الذي جعل الصليبيين يلجؤون إلى اتخاذ إجراءات مضادة للأندلسيين والمغاربة ، تجسدت بفرض ضريبة عليهم دون غيرهم ، وذلك جزاء اشتراكهم مع العرب المشارقة ضدهم ، يقول ابن جبير عندما زار حصن تبنين : <<وكان مكانا لتمكيس القوافل ... ولا اعتراض على غيرهم . وسببها ان الطائفة من أنجادهم غزت مع نورالدين احد الحصون >>[1]، فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المكسية ، ألزموها رؤوسهم فكل مغربي يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلافه على بلادهم . وقال الإفرنج ان هؤلاء المغاربة ، كانوا يختلفون على بلادنا ، لا نسالمهم ولا نرزؤهم شيئا ، فلما تعرضوا لحربنا وتألبوا مع إخوانهم المسلمين علينا. وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم ، فللمغاربة في أداء هذا المكث سبب من الذكر الجميل في نكايتهم العدو يسهله عليهم ويخفف عنهم[2] .

ويستمر اشتراك الأندلسيين والمغاربة في الفترة التي تلت انتهاء حكم نورالدين زنكي ويمكن القول ان أعدادهم ازدادت بشكل كبير على عهد صلاح الدين الأيوبي .
ويعد أول تدخل مغربي في هذه الحروب الصليبية يصعد الى عام 543هـ/1148م ، وهو التاريخ

1-ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 3

2-المقريزي احمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الاول ، تحقيق مصطفى زيادة ، طبعة القاهرة ،1964،ص 64

الذي أستشهد فيه الإمام المغربي "يوسف بن دانوس الفندلاوي " [1]وهو التاريخ الذي حاول فيه الصليبيون إحتلال مدينة دمشق ، على الرغم من تقدمه في السن وقد إندفع للقتال غير عابئ بالنصيحة التي قدمها له حاكم دمشق معين الدين أنر بعدم مشاركته في الحرب وكان رده رائعا جسد من خلاله العزم والتصميم ، فعندما خاطب حاكم مصر قائلا ،" قد بعث و إشترى فوالله لا أقيله ولا أستقيله " وتلا الآية الكريمة <<ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم >> وقد ظل يقاتل رحمه الله ، حتى أستشهد بأرض النيرب بالقرب من الربوة وحمل جثمانه الطاهر الى مقبرة باب الصغير حيث دفن[2]. كان يلقب بابي الحجاج المغربي ، قدم الى الشام وسكن بلدة بانياس ، ثم إنتقل الى دمشق وإستوطنها ودرس بها على مذهب الإمام مالك ابن انس ، وحدث بكتاب الموطأ وغيره ، وقد وصف بأنه شيخ حسن المفاكهة ، حلو المناظرة ، كريم النفس ، قوي القلي ، صاحب كرامات ، وقد قيلت فيه أشعار كثيرة نختار منها ما قاله ابن الحكم الأندلسي :

بشط نهر داريا أمور ما تواتينا
أتانا مائتا ألف عديدا او يزيدونا
ورايات وصلبان على مسجد خاتونا
فقلنا اذ رأيناهم وقد جاؤوا يريدونا
وشيخا فندلاويا فقيها يعضد الدنيا
ولكن غادروا القسيس تحت الارض مدفونا[3]

3–ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مطبعة السعادة بمصر، الجزء السادس ،ص 401 و كذلك ابي يعلى حمزة ابن اسد المعروف بابن القلانسي ،مطبعة الاباء ،بيروت ،ص298، و ايضا ابي شامة مصدر سابق ، ص 137–139

1– ابن القلانسي، مصدر سابق ،ص298

–سبط ابن الجوزي ،مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، الجزء الثامن ، الطبعة الاولى ، حيدر اباد الدكن ، الهند ،1951 ص 200،2013

ويعد الفندلاوي من الشخصيات المغربية التي طار ذكرها وخلد على صعيد مدينة دمشق ، فقد ذكر الذهبي من مؤرخي القرن الثامن أن قبره على عهده ، كان مزال يقصد بالزيارة والتبرك على الرغم من مضي أكثر من مئتي عام على وفاته[1].

ويذكر أيضا أن صلاح الدين الأيوبي إستعان بهم عندما هدد < أرناط > الصليبي حاكم الكرك المدينة المنورة عن الطريق البحري ،وقطع الطرق البرية والبحرية عنها ، فساعدوا صلاح الدين الأيوبي في بناء أسطول إسلامي لتدمير الأسطول الصليبي ، ويرى ابن جبير "أنهم كانوا عازمين على دخول المدينة المنورة وإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من الضريح المقدس [2]" فلما وصل الخبر الى مصر أمر الملك العادل (أخو صلاح الدين ونائبه بمصر) الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فعمر المراكب " بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية مع أنجاد من المغاربة البحريين ..." [3]وسار الى آيلة ، فظفر بالمركب الفرنجي عندها ، فخرق السفينة وأخذ جندها ، ثم عدى الى عيذاب وشاهد بأهل العذاب ودل على المراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع بها وواقعها و أطلق المأسورين من التجار ورد عليهم ما أخذ لهم ... وعاد الى القاهرة و معه الأسرى فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم وقطع أسبابهم، بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف.[4]

ثانيا : الجنود المغاربة في الجيش المشرقي :

شارك المغاربة في الحروب ضد الصليبيين على شكلين تمثل الشكل الأول في :

ا:المحاربين الأساسيين :

شارك المغاربة مع الجيش المشرقي في صد العدوان الصليبي على شكل مجموعات او أفراد منخرطين في شكل جيش نظامي ، حيث يذكرهم العماد الكاتب الأصفهاني في كتابه الموسوم ب

3–ابن جبير ، مصدر سابق ،ص 274

1–العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح المقدسي، تحقيق محمود محمد صبح دون طبعة دون تاريخ ،ص 502

2–ابو شامة، مصر سابق ، الجزء الثاني ،ص 13–14

3– ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 214

" الفتح القسي في الفتح القدسي " حيث يظهر من خلاله قيمة الدور الذي شغله هؤلاء المغاربة على الصعيد العسكري كمقاتلين أشداء نذروا انفسهم بتنفيذ مهمات في غاية الخطورة .

كما لفت السلطان صلاح الدين الى تمرس المغاربة بمجاهدة أعداء الإسلام في رسالة بعث بها الى الخليفة العباسي ببغداد ، يزف إليه فيها نبأ إستيلائه على حصن بيت الأحزان ، منوها بدور المغاربة في فتح الحصن المنيع بقوله [1]<< واحتلت به الرجال الذين يعملون في البحر ، ويفتكون في البر . ومن هو معروف من المغاربة بغزو بلاد الكفر >>

ولعل أهمية المغاربة في الجيش تتمثل في اشتراكهم مع صلاح الدين الأيوبي في حصار عكا سنة 583هـ /1187م ، حيث قدر عددهم ما بين الفين الى ثلاثة آلاف جندي مغربي[2] ، فكانت نكاية هؤلاء بالعدو شديدة .

ب: المرافقين للجيش :

حيث يقومون بخدمات مختلفة التي لا تقل عن غيرها في ميدان الحرب ، ساهمت الى حد كبير برفع معنويات الجيش القتالية ، فقد عرفت أعداد كبيرة منهم كانت مهمتهم الرئيسية تحضير الطعام وتجهيز الحمامات للجنود من أجل الاغتسال وتوفير أسباب النظافة العامة التي تضفي على النفس الإنسانية نوعا منة البهجة والسرور والراحة ، ويمكن تقدير هؤلاء المغاربة بأكثر من ثلاثة آلاف رجل[3] .

بالإضافة الى ذلك نذكر ايضا الخدمات الجليلة التي قدمها الأطباء الأندلسيين لصلاح الدين وجيشه وأهالي الشام . فمنذ النصف الأول للقرن السادس الهجري ، بدأ الأطباء الأندلسيون المشاهير يتوافدون على دمشق بعد أن سمعوا بمحاولات الصليبيين احتلالها ، وكأنهم يشعرون أنه من واجبهم.

1- ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 32

2- ابو شامة، مصدر سابق، ص35-36

3-المقريزي، مصدر سابق،ص64

وهم من بلاد اعتاد أهلها محاربة الصليبيين باستمرار المساعدة في الدفاع عن دمشق وغيرها من بلاد الشام ، ومن هؤلاء الاطباء ابو الحكم تاج الحكماء عبد الله بن المظفر الباهلي ، المولود في مرسية شرق الأندلس سنة 486هـ وقد درس الطب في الأندلس ومصر ، وفي بداية أمره توجه الى بغداد وفيها شغل طبيب البيمارستان ، الذي كانت تحمل عقاقيره وادواته في المعسكر السلطاني على أربعين جمل[1] ونذكر أيضا اطباء آخرون أيضا ودورهم في الفصل الثاني .

ثالثا: الدعم المالي الذي قدمه المغاربة للجيش

لقد بادر المغاربة الى تقديم الأموال من أجل تجهيز المقاتلين بالسلاح والعتاد ومثال على ذلك : العلامة محمد ان محمد ابو الوليد التجيبي الأندلسي إمام محراب المالكية ، المتوفي بدمشق سنة 718هـ والذي يقول عنه ابن حجر العسقلاني في كتابه " الدرر الكامنة " < وكانت له عدة كاملة من السلاح والخيل أعدها للغزاة من ماله >[2]

برزت في مدينة دمشق أسر مغربية كبني الزواوي والبكري و البرزالي و الشريشي و التلمساني ، شاركت في الخدمة المدنية في المدينة ، الى جانب التزامها المهام الدينية و الجهادية ، تولى علاء الدين علي بن محمد البكري نظر الدواوين ونظر البيمارستان النوري ، وتولى عفيف الدين التلمساني الكتابة في الدواوين ، وتولى ابن الشاب الظريف الإدارة المالية للمدينة (عمل الخزانة)، وأسندت وظيفة أمانة سجن دمشق لأحد أفراد أسرة اللمتوني. حيث تولت الأسرتين (أسرة البكري و الزواوي)[3] دعم الجيش بالأموال وخاصة أثناء إعادة صلاح الدين الأيوبي إعمار الأسطول .

4 – نفس المصدر ، ص 65

1 –ابن عسقلاني شهاب الدين ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، دار الجيل بيروت ، ص 302

2–احمد حطيط ، مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق زمن الحروب الصليبية ، مقالة في مجلة ثقافة ومعرفة ، 30–09–2015

ولم يكتفي المغاربة بتقديم الأموال فقط بل ايضا شاركوا في الصناعات العسكرية من حر مالهم ، وهذا ما ذكره لبن عبد الظاهر في فتح حصن الصفد سنة 663هـ فقال " ورمي المنجنيق المغربي في هذا اليوم فأثر آثارا حسنة " [1]

فقد شارك المغاربة في صنع أسلحة جديدة غير متواجدة في بلاد المشرق ، وهذا لاختصاصهم بالجهاد البحري وصناعة السفن ، وأيضا كنتيجة لقربهم من الصليبيين (الأندلس والصقلية)وأخذ بعض الصناعات منهم .

المبحث الثاني :جهاد المغاربة البحري ودورهم في الأسطول :

أولا :الجهاد البحري للمغاربة :

تعتبر أول إشارة أوردتها المصادر بخصوص جهاد المغاربة البحري في عهد الحروب الصليبية جاءت في رسالة للقاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب الى وزير بغداد يبشره فيها بفتح حصن الأحزان[2] ، وتخريبه 574م حيث يذكره فيها بالانتصار الذي حققه الأسطول المصري على الصليبين بعكا ، و بالبلاء الحسن الذي أبلاه المغاربة المعروفون "بغزو بلاد الكفر "[3]عندما ضيق الفرنجة الخناق على عكا[4] ،هذه العبارة التي جاءت في نص الرسالة تصريح واضح و شهادة بالدور الذي لعبه المغاربة في هذه المواجهة و اعترف بإشتهارهم بحرب

3-ابو شامة مصدر سابق ، ص13-14

1-كان على المسلمين في هذا الحصن ضرر عظيم وكان هذا الحصن لفرقة الداوية و هي منظمة دينية عسكرية اخذت على عاتقها حماية الحجاج المسحيين و الدفاع عنهم و عن الارض المقدسة و كان من فيه يقطعون الطرقات على قوافل المسلمين "ابي شامة ،كتاب الروضتين ،الجزء الثامن ،ص 8

2-نفس المصدر، ص8

3-نفس المصدر ص 14

النصارى سواءا بالغرب الإسلامي حيث كانوا مجاورين لهم او بالمشرق حيث لم يكن الأسطول المستغني عنهم .

و يظهر ان البحريين المغاربة شاركوا الى جانب حسام الدين لؤلؤ[1] في تضييق الخناق على الصليبين في بيت المقدس 583هـ-1187م، و كانت مهمة الأسطول تتمثل في قطع الطريق بحرا على الإمدادات الفرنجية حيث كانوا :<<كلما رأوا لهم مركبا غنموه و شانيا أخذوه>>[2].و قد انتهى هذا الحصار باسترجاع القوات الإسلامية لبيت المقدس ، وقد تولى المغاربة اعلى المراتب في التنظيمات البحرية المغربي الذي كان رئيسا للأسطول . و هي مهمة و مسؤولية خطيرة تتمثل في تدبير أمر جريت الأسطول بالريح او المجاديف و أمر إرسائه في مرفئه[3]، كان عبد السلام المغربي موصوفا بالحذق في صناعته و شجاعته .

فقد اشتهر بمواجهة الصلبين على سواحل مصر و بلاد الشام ، و ظهر دوره جليا في الجهاد البحري أثناء حصار صلاح الدين لمدينة صور سنة 583هـ-1187م و لعل من الأدلة على براعة المغاربة في ركوب البحر و أهمية الأسطول المغربي الرسالة التي وجهها صلاح الدين الأيوبي الى يعقوب المنصور الموحدي سنة 586هـ -1190م "طالبا مدد الأساطيل لتحول في البحريين الأساطيل الكفرة و بين مرماهم من إمداد النصرانية بثغور الشام"[4]، بالإضافة الى بدران الفارسي و استخدام صلاح الدين في الأسطول عرب المغرب نظرا لخبرتهم بسواحل العدو و موانئه و خبرتهم و مهارتهم البحرية .

وكان المغاربة اكثر من لبى نداء صلاح الدين للعمل في مجال البحرية و هم الذين عول عليهم في إعداد الأسطول المصري حتى أصبح ذلك و قفا عليهم ، حيث إستعان بهم الفاطميون الأيوبيين ، المماليك ، العثمانيين في إدارة أساطيلهم البحرية ،و كذلك نذكر الضريبة الإضافية التي فرضها

4-حسام الدين اللؤلؤ ، قائد الاسطول المصري سنة 583 هـ

5-ابن الاثير ، مصدر سابق ،ص154

6-ابن اثير ،مصدر سابق ،ص160، بالإضافة الى ابو شامة ،كتاب الروضتين ،ص119، بخصوص التنظيمات البحرية و راجع ابن خلدون ، المقدمة " قيادة الاساطيل ، ص199-200

1-ابن خلدون ، مصدر سابق ،ص202

الصليبيون في الشام على التجار المغاربة فقط دون سائر التجار المسلمين و السبب في ذلك يرجع الى أن طائفة من أنجاد المغاربة حاربوا مع السلطان نور الدين محمود الزنكي و استولوا على أحد الحصون الصليبية بعد أن أبدوا شجاعة نادرة كانت مضربا للأمثال فجازاهم الإفرنج على ذلك بأن فرضوا على كل تاجر مغربي يمر بمستعمراتهم في الشام دينارا إضافيا عن سائر تجار المسلمين كعقاب لهم على شجاعتهم [1].

و تشير المصادر الى المغاربة شاركوا إخوانهم بمصر في التصدي لما عرف في التاريخ بـ"حملة البحر الأحمر" في سنة 578هـ-1182م ، ذلك بأن أحد القادة الصليبين يدعى رينو الشايتوني ،صاحب حصن الكرط <<جنوبي فلسطين و المعروف في المصادر الإسلامية باسم "ارناط "جهز مراكب و شحنها بالرجال و آلات القتال ، ومضى بها " نحو عيذاب ، فقطعوا طريق التجار و شرعوا في القتل و النهب و الأسر ، ثم توجهوا الى أرض الحجاز و تعذر على الناس وجه الإحتراز فعظم البلاء ...و أشرف أهل المدينة النبوية منهم على خطر >>[2].

و يرى ابن جبير <<انهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم و إخراجه من الضريح المقدس >>[3]،فلما وصل الخبر الى مصر ، أمر الملك العادل "أخو صلاح الدين و نائبه بمصر" الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فعمر المراكب <<بالرجال البحرية ذوي التجربة من آل النخوة للدين و الحمية >>مع انجاد من المغاربة البحريين[4].

و سار الى آيلة ، فظفر بالمركب الفرنجي عندها ، فخرق السفينة و اخذ جندها ،ثم عدى الى عيذاب و شاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد ايام فأوقع بها وواقعها و اطلق عليها الميسورين من التجار و رد عليهم و ما اخذلهم ...وعاد الى القاهرة و معه

2- ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 274
3- ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 35
1- ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 32
2-نفس المصدر،ص32

الاسرى فتكب السلطان اليه يضرب رقابهم و قطع اسبابهم ، بحيث لا يبقى منهم عين تطرف و لا احد يخبر طريق ذلك البحر او يعرف [1].

ثانيا : أهم القادة المغاربة الذين تولوا أمور الاسطول :

لقد قام صلاح الدين بتشجيع الناس على الالتحاق بصفوف البحرية و استقدام العناصر الكفؤة من خارج مصر ، و قد نجحت محاولته بسبب المغريات التي صار ديوان البحرية يوفرها لهم ، او يبث روح الجهاد في نفوس المسلمين و حثهم على التطوع و العمل في الاسطول حتى صار " خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله و الغزاة في أعداء الله و يتبرك بدعائهم الناس .و قد ضرب صلاح الدين نفسه مثلا رائعا في الجهاد فقد ذكر مؤرخه ابن شداد الذي شاهد الكثير من اهوال البحر ان صلاح الدين التفت اليه ذات يوم في نهاية حوار دار بينهما قال له :في نفسي انه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد و اوصيت وودعت و ركبت هذا البحر الى جزائرهم و تتبعهم فيها حتى لا ابقي على وجه الارض من يكفر بالله او اموت "[2].

لقد كان المغاربة اكثر من لبى النداء صلاح الدين في مجال البحرية و هم الذين عول عليه في اعداد الاسطول المصري .و اكبر ادلة على ذلك ان صلاح الدين الايوبي نصب اكفأ المغاربة في منصب قائد الاسطول و نذكر منهم .

أ) عبد السلام المغربي:

و هو قائد السطول المصري سنة 583هـ وهو مثل الكثير من المغاربة الذين هاجروا الى بلاد الشام ومصر حيث تولى امور الاسطول اثناء حصار صور وهي مهمة ومسؤولية خطيرة تتمثل في تدبير امور الاسطول وكان عبد السلام المغربي موصوفا بالحذق والشجاعة[3].

3– ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 35 –36

4–يوسف ابن شداد ،النوادر السلطانية ، مصر ،1317هـ ،ص81

1–ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 199

قد لا نجد تفاصيل عن حياة هذا القائد الفذ في المصادر التي اكتفت فقط بذكر اسمه ومكانته في اسطول صلاح الدين فذكر في كتاب ابي شامة "الروضتين " ابن الاثير "الكامل في التاريخ " وكذلك في مقدمة ابن خلدون .الا ان كتاباتهم عنه لم تتعدى السطر او السطرين الا ان الدكتور عبد المجيد بهيمي اورده في مقالة "المغاربة و الجهاد البحري ضد الصليبين على ان الاسير الذي قدم الى السلطان صلاح الدين اثناء حصار عكا 587هـ من المرجح ان يكون عبد السلام المغربي الذي اسر اثناء محاصرة صور 583هـ[1]. حيث كان هذا القائد يتولى حراسة ميناء صور على رأس خمس شواني ، الا انه في احدى الليالي تم الغدر بهم من طرف الصليبين فقتل من قتل و اسر من اسر[2] .

ب)الرايس ابراهيم التازي:

رئيس دار صناعة السفن بالإسكندرية زمن المناصب العليا التي تبوأها المغاربة في بلاد الشام و مصر ، رئيس دار صناعة السفن بالإسكندرية و مثال على ذلك الرايس ابراهيم التازي .أصله من مدينة تازة في المغرب الاقصى و هو شخصية عسكرية مغربية[3] ، لعبت دورا دوليا في تاريخ العصر الوسيط حيث تبوأ منصب رئيس دار الصناعة البحرية الاسكندرية "المدينة المصرية الشهيرة ذات ميناء الكبير على البحر المتوسط "فتغيب عنا المعلومات الاساسية حول تاريخ ميلاد و نشأة ابراهيم هذا. فضلا عن الظروف التاريخية و الاسرية التي ادت به الى الهجرة نحو الديار المصرية. إلا انه لم يشتهر فقط بكونه من رواد الجهاد البحري ، بل ايضا من ابرز الاسماء المغربية التي جاهدت بقايا الصليبين في البحر المتوسط و امام السواحل المصرية.

–ظهر اسم ابراهيم التازي خلال القرن الثامن الهجري في سياق رواسب الصراع البحري بين الدولة الاسلامية في مصر المجسدة في المماليك ،و بقايا الامارات الصليبية في البحر المتوسط و

2–عبد المجيد بهيني ، المغاربة و الجهاد البحري ضد الصليبين

3– ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 267

4– عبد الهادي التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم ، الجزء السادس ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ،1988 ، ص241

خاصة بجزيرة قبرص ،و ظلت السواحل المصرية للبحر المتوسط هدفا لعدد من هجمات هؤلاء الصليبين هذا و لخص الاستاذ المؤرخ عبد الهادي التازي الدور الذي قام به ابراهيم التازي كما هو الشأن بالنسبة لعدد من القادة المغاربة الذين شاركوا بفاعلية سواء في الجهاد البري او البحري ضد الصليبين منذ عهد صلاح الدين الايوبي يقول عبد الهادي التازي[1] "و في يوم الخميس الرابع و العشرين من شعبان سنة تسع و ستين و سبع مئة قدم الرايس التازي من جزر الافرنج (قبرص) الى الاسكندرية بأسارى النصارى فرتجت لقدومه و ماجت بأهلها ساعة وروده فخرج اهله منها الى موضع مناراتها .....و المسلمون بالساحل يضجون بالتكبير للعلي القدير ،وكان وصول التازي الى الميناء ضحى نهار ، فزغزغت له الاحرار و الجواري .فدخل الاسكندرية على فرس عربية على رأسه طرطور متحزم بحيامة جلد معلق عليها خنجر مجوهر وكان من خلف قرس الرايس اسارى الافرنج "

كما نجح الرايس ابراهيم التازي مرة اخرى في صد غارات البحرية المسيحية على سواحل الاسكندرية سنة 770 هـ .

واستقبله السلطان المملوكي (اشرف شعبان) وتباحث معه في شأن خطير يتعلق بفتح جزير الصقلية و ضمها الى بلاد الاسلام و بالطبع غزا الرايس ابراهيم الجزيرة لكن دون فتحها فأنهبها و هزم عساكرها ثم كر راجعا بالأسباب و الأسارى في المشهد الذي ذكرناه سابقا وكل ذلك جاء كرد فعل على مهاجمة سواحل الاسكندرية من طرفه ، و استغاثة سلطان مصر[2] و بذكر المقريزي من جهته ان من تسلم قيادة الأسطول الحربي في مصر سنة 769هـ-1368م هو

1-عبد الهادي التازي ، نقلا عن نويري ،كتاب الإمام ، ص 243

2- عبد الهادي التازي، مرجع سابق ،ص 243

الحاج محمد التازي المغربي[1] الذي أبلى بلاء حسنا في الهجوم على الإفرنج .حيث قتل منهم جماعة و أسر الباقي .

1–المقريزي ، مصدر سابق ، ص 445

المبحث الثالث : أهم المعارك التي شارك فيها المغاربة:

أولا : معركة دمشق (543هـ /1149م):

لقد كان حاكم دمشق في تلك الحقبة معين الدين أنر[1]، الذي اعتبر كحليف للصليبيين ضد آل زنكي ولكن شاءت الأقدار ان يكون هدفا للصليبيين أثناء الحملة الثانية ، وهذا نتيجة للإتفاق الذي دار بين امبراطور المانيا (كونراد الثاني) وملك فرنسا (لويس السابع) وملك بيت المقدس ، الذي استقر فيه الراي بان يتوجهوا الى مدينة دمشق و يحتلوها[2]، و على هذا القرار سارت الجيوش الصليبية الى دمشق وناصبتها الحصار ، حيث نشبت معركة بينهم وبين الدمشقيين ، حيث قام معين الدين بجمع العساكر ، وحفظ البلاد ، فخرج اليهم أهل البلد والعسكر فقاتلوهم ، وصبروا لهم[3] . فشارك المغاربة المتواجدون في دمشق مع الأهالي لنصرة الإسلام والدفاع عن أراضيهم ، وأكبر مثال على ذلك خروج الفقيه الشيخ حجة الدين يوسف بن دوباس الفندلاوي المغربي [4]، فقد كان فقيها صالحا طاعنا في السن[5] ، فيما رآه معين الدين وهو راجل ، قصده وسلم عليه ، وقال له " يا شيخ انت معذور لكبر سنك ، ونحن نقوم بالذب على المسلمين ، وسأله ان يعود فلم يفعل "، وقال له:" قد بعت واشترى مني فوالله لا أقلته ولا استقلته " يعني قول الله تعالى << إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة >>[6] ، وتقدم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النيرب ، نحو نصف فرسخ عن دمشق ، وقوي الفرنج ، وضعف المرسلون ، ارسل الى سيف الدين غازي بن أتابك زنكي يدعوه الى نصرة المسلمين ، وكف العدو عنهم ، فجمع عساكره وسار الى الشام ، واصطحب معه أخاه مور الدين محمود من حلب ، فنزلوا بمدينة حمص ، وأرسل الى معين الدين يقول له :" قد حضرت و

1–معين الدين انر (مملوك في جيش طوغكتين ، حاكم دمشق ، في سنة 543هـ)

2– محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق ،ص 72

3–ابو شامة ، مصدر سابق ،ص202

4–هو حجة الدين يوسف ابن ذي باس الفندلاوي المغربي ، اصله من المغرب قدم دمشق حجا فسكن بانياس مدة و كان خطيبا بها ، ثم انتقل الى دمشق فاستوطنها ودرس بها مذهب الامام مالك

5–ابو شامة ، مصدر سابق ،ص204

6–سورة التوبة ، الآية 111

معي كل من يحمل السلاح من بلادي فأريد ان يكون نوابي بمدينة دمشق لأحضر و القى الفرنج ، فإن هزمت دخلت انا وعساكري البلد واحتمينا به ، وان ظفرنا فالبلد لكم ولا أنازعكم فيه " [1]

فأرسل الى الفرنج يهددهم ان لم يرحلوا عن البلد ، فكف الفرنج عن القتال خوفا من كثرة الجراح ، وربما اضطروا الى قتال سيف الدين ، فأبقوا على نفوسهم ، فقوي أهل البلد على حفظه وإستراحوا من ملازمة الحرب[2] .

وهنا يأتي دور الغرباء (المغاربة) الدبلوماسي حيث قام معين الدين أنر بإرسال وفد من الغرباء يقول لهم " إن ملك المشرق قد حضر فإن رحلتم ، وإلا سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون " وأرسل الى فرنج الشام يقول لهم " بأي عقل تساعدون هؤلاء علينا ، و أنتم تعلمون أنهم ان ملكوا دمشق ، أخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية ، وأما أنا فان رأيت الضعف عن حفظ البلاد سلمته الى سيف الدين ، و أنتم تعلمون انه ان ملك دمشق ، لا يبقى لكم معه مقام في الشام " فأجابوه بالتخلي عن ملك الألمان[3] ، وبذل لهم تسلم حصن بانياس اليهم ، وإجتمع الساحلية ، بماك الألمان وخوفوه من سيف الدين ، وكثرة عساكره وتتابع الإمداد اليه ، و أنه ربما أخذ دمشق و تضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتى رحل عن البلد وتسلموا قلعة بانياس .
وقد ذكر الحافظ ابو قاسم بن عساكر في تاريخ دمشق ،ان بعض العلماء حكى له أنه رأى الفندلاوي في المنام ، فقال له :< ما فعل الله بك ، واين انت ، فقال : فاغفر لي وانا في جنات عدن على سرر متقابلين >[4]
استمرت دمشق [5]تحت إمرة آل طغتكين ، الى ان قام نورالدين محمود زنكي بضمها الى البلاد الشامية وهذا بمساعدة حزب يناصره من داخل دمشق بقيادة القائد أيوب بن شاذي . فسرعان

1– ابو شامة ، مصدر سابق ،ص206
2–نفس المصدر ،ص207
3–محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص73
4– ابو شامة ، مصدر سابق ،ص204
5–نفس المصدر ، ص206

ما استسلمت اليه المدينة وفتحت أبوابها في (صفر 549هـ- 1154م)وعين أيوب ابن شاذي ، حاكما عليها ، وعين أخاه شيركوه بن شاذي حاكما على ولايتها .

ثانيا : معركة حطين وتحرير بيت المقدس :

عزم صلاح الدين الأيوبي على معاقبة صاحب حصن الكرك (ارناط) الذي قام بالإعتداء على قافلة تجارية[1] تابعة لصلاح الدين الأيوبي فغنم أموالها وأسر رجالها ، ورغم إنذارات صلاح الدين لأرناط بإرجاع ما اغتصبه لكنه تمادى وتعنت ، فقرر صلاح الدين الإنتقام منه وأقسم ان يقتله بيده ، وبهذا نقضت الهدنة بين صلاح الدين والصليبيين ، فعزم على مهاجمة مملكة بيت المقدس ، فخرج في دمشق في محرم 583هـ / 1187م ولما وصل رأس المال جعله مركزا لاجتماع الجيوش ، فقد استنفر المسلمين للجهاد العام، فايقن الصليبيين بإتساع الخطة التي دبرها صلاح الدين ضدهم[2]،فاجتمعت كلمة رؤسائهم وحشدوا جموعهم وتوجهوا الى الطبرية ، وتقابل الفريقان في حطين وجرت معارك قاسية بين الطرفين ، انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي انتصارا حاسما[3] ، فقد هزم الصليبيون انهزاما تاما لم يفلت منهم احد ، بين قتلى وأسرى ، وبلغ عدد قتلاهم عشرة الآلاف ، وأسر ملك بيت المقدس وارناط موقدة شرارة هذه الحرب. وأظهر صلاح الدين شهامة وعطفا مع أعدائه ، خصوصا ملك بيت المقدس . اما أرناط فقد بر صلاح الدين بيمينه في شانه وضرب عنقه[4]

1-هناك بعض الروايات تقول ان ضمن القافلة اخت صلاح الدين الايوبي كما يذكر البعض ان القافلة كانت قاصدة فريضة الحج و كان فيها اين اخته و ذلك سنة 583 هو لكن قصد صلاح الدين اليه منعه من التعرض الى قافلة الحجاج ،عن –ابن الاثير ، الجزء التاسع ، ص 175

2- محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص86

3- ابو شامة ، مصدر سابق ،ص210

4- ابن اثير، مصدر سابق ،الجزء التاسع ،ص178

بعد الإنتصار الكبير لصلاح الدين في حطين ، توجه بقواته الى ميناء عكا ، فإستسلم من فيها بأمان ودخلها صلاح الدين (583هـ-1187م) وإنتقل الصليبيون منها الى صور[1] ، ثم وقع إحتلال المدن والحصون التي حول عكا مثل (تبنين – صيدا – جبيل – بيروت)

وبعد ذلك ساير الساحل وحاصر عسقلان مدة أربعة عشر يوما . وإنتهى باستسلامها في 16 جمادى الثانية (583- 1187م)، وبذلك نصب صلاح الدين حصارا على بيت المقدس. وحال بينها وبين الإمدادات الصليبية التي كانت ترد اليها من الساحل ، وتوجه الى بيت المقدس بعد إستسلام (الرملة – الداروم –غزة – بيت لحم – النطرون) وناصبها الحصار[2] . ولم يطل أمد هذا الحصار سوى أسبوع واحد ، انتهت بعد المقاومة الصليبية وإستسلمت لصلاح الدين ، ولم يفعل مع أهلها ما فعله الصليبيون مع المسلمين لما احتلوها في الحرب الصليبية الأولى ، لأن دينه وشهامته يأبيان ذلك ، فسمح للصليبيين بإفتداء أنفسهم مقابل مقدار من المال (10 دنانير للرجل ، 5 للمرأة ، 2 للطفل) فحرج الصليبيون تحت حماية القوات الإسلامية الى مدينة صور متعهدين لعدم الرجوع الى الحرب[3] .

ودخل صلاح الدين بيت المقدس[4] في رجب 583هـ (اكتوبر 1187 م) ، شارك المغاربة البحريين الى جانب حسام الدين لؤلؤ ، قائد الأسطول المصري سنة 583هـ في تضييق الخناق على الصليبيين في بيت المقدس ، حيث كانت مهمتهم تستدعي قطع الطريق بحرا على الإمدادات الفرنجية حيث كانوا << كلما راو لهم مركبا غنموه وشانيا اخذوه >> [5]ولعل من الأدلة التي تبرز الدور المهم للمغاربة في تحرير بيت المقدس هي الوظائف العالية التي منحها صلاح الدين للمغاربة كمكافأة على خدماتهم والرغبة في إستمرار هاته الخدمات في الوقت نفسه حيث منح للعالم " الأندلسي ابو الحسن علي بن محمد بن علي المعارفي المالقي " استوطن الشام

5- محمد العروسي المطوي ، مرجع سابق ، ص87
1- ابو شامة ، مصدر سابق ،ص272
2-انظر الملحق رقم 1 ، ص83
3- ابو شامة ، مصدر سابق ، ص273
4- مختار احمد العبادي ، مرجع سابق ، ص 130

وعرف هناك (بزين الدين) بتوصية من بعض العلماء والافاضل ، منصب الإمام والخطيب ببيت المقدس[1] .

تغيب عنا الإحصاءات الدقيقة لمشاركة المغاربة بمعركة حطين ، الا ان هؤلاء شاركوا كالكثير من الشاميين والمصريين من غير الجيش النظامي ، فقد بين الإنجليزي صاحب كتاب (incyclopidia of islam) ان الجيش النظامي لصلاح الدين الأيوبي لم يكن يتجاوز عشرة ألف مقاتل ، اما المحاربون الآخرون فكانوا متطوعة ومتصوفة مع أتباعهم ، ومنهم الأندلسيون والمغاربة من غير المؤهلين للحرب بشكل نظامي مرتب[2]،لطالما كانت لفلسطين مكانة كبيرة روحية لدى المغاربة ويتجلى ذلك في تهنئتهم لصلاح الدين بفتح بيت المقدس ومنهم (ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الغساني الجيلاني) نزيل القاهرة في قصيدة مطلعها :[3]

ابا المظفر انت المجبي لهدى

اخرى الزمان على حبر بخبرته

ويقول في افتتاح قصيدة اخرى :

قد اقسموا بذراع الرب ان تدخله[4]

ولا بد لنا ان نذكر الرحالة ابن جبير الأندلسي الذي تحمس لخير فتح بيت المقدس وأبى إلا ان يقوم برحلة ثانية لأجل زيارة المسجد الاقصى والبيت الحرام معا ، حيث عبر عن فرحته بقصيدة يقول في مطلعها :

اطلت على افقك الزاهـــر

5 – ابو شامة ، تراجم الرجال ، مصدر سابق ،ص128

1–نقلا عن علي احمد ، مساهمات الاندلسيون و المغاربة في الحروب الصليبية في مصر و الشام

2–ابو شامة ، مصدر سابق ،ص103

3– نفس المصدر ، ص51

سعـــــود من الفلك الدائر

الى ان يقول:

فتحت المقدس من ارضه

فعادت الى وصفها الطاهر

وجئت الى قدسه المرتضى

فخلصتـــــه من يد الكافر

واعليت فيه منار الهدى

واحييت من رسمه الدائـــــر [1]

ومن المغاربة الذين استشهدوا في هاته المعركة (حطين) مجاهد من فاس " العباس بن احمد الاندلسي[2].

ثالثا : حصار صور و معركة عكا :

أ) حصار صور 583هـ:

لما فرغ صلاح الدين من بيت المقدس سار الى مدينة صور و كانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير ،و قد صار المركيش صاحبها ،و الحاكم فيها و قد ساسهم أحسن سياسة .و بالغ رفي تحصين البلد ، وصل صلاح الدين الأيوبي الى صور في التاسع من شهر رمضان 583هـ [3].

كان أهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل و لده الأفضل و ولده الظاهر الغازي و أخيه العادل بن أيوب ، و ابن أخيه تقي الدين ، وكذلك سائر الأمراء[4]، و كان للإفرنج شواني و

1 –ابن جبير ، مصدر سابق، ص 90

2 –ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 140

3 –ابن الاثير ، مصدر سابق ، جزء 10 ، ص 159–161

4– ابو شامة ، مصدر سابق ، جزء الثالث، ص 266

حراقات يركبون فيها في البحر مما صعب الأمر على المسلمين لأن أهل البلد يقاتلونهم من بين أيديهم ، وأصحاب الشواني يقاتلونهم من جانبيهم ، فكثرت الجراحات في المسلمين و القتل .و لم يتمكنوا من الدنو الى البلد فأرسل صلاح الدين الى الشواني التي جاءته من مصر وهي عشر قطع[1]. كانت بعكا فأحضرها رجالها و مقاتلتها و عدتها و كانت في البحر تمنع شواني أهل صور من الخروج الى قتال المسلمين و كانوا يمنعون عنهم الإمدادات الصليبية و كان قائد هاته الشواني .القائد عبد السلام المغربي الذي ذاع صيته ووصف بالحذق و الشجاعة [2].الا ان خمس من قطع شواني المسلمين باتت في بعض الليالي مقابل مينا صور ليمنعوا الخروج منه و الدخول اليه ، فباتوا ليلتهم يحرسون .و كان مقدهم عبد السلام المغربي و مساعده بدران الفارس ، فلما جاء وقت السحر ، آمنوا فناموا ، فما شعروا الا بثواني الفرنج قد نازلتهم و ضايقتهم ، فأسر من أسر و قتل من قتل. و يقال ان الرايس عبد السلام بالمغربي قد أسر في هاته المعركة[3] ،لما رأى صلاح الدين ان أمر صور يطول رحل عنها و كانت عادته متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه ،و من حصاره ، فرحل عنه[4] .

ب–معركة عكا :587هـ

توجه الصليبيون الى مدينة عكا و ناصبوها الحصار ، إعتمادا على قوتهم المجتمعة وعلى الإمدادات التي ترد اليهم من أروبا[5]، وحصار عكا كان له دوي هائل في التاريخ نظرا لطوله الزمني الذي إستمر لمدة عامين و نظرا لضروب الشجاعة و البسالة و الاقدام التي اظهرها كل من المتحاربين ، سواء من المسلمين او من الصليبين ، سارت الجيوش الصليبية الى عكا في 8 رجب (589هـ–1189م) و كانت هذه الجيوش تساير الساحل ، ترافقها مراكب بحرية ، وما ان وصل الصليبيون عكا حتى حاصروها برا و بحرا ، ثم و صلت الجيوش الإسلامية و حاصرت

5– ابو شامة ، مصدر سابق ، جزء الثالث، ص 267

6– ابن خلدون، مصدر سابق ، ص 199،وايضا ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 267

1– عبد المجيد بهيني ، مرجع سابق ، ص 30

2– ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 268

3– محمد العروسي مطوي ، مرجع سابق ، ص 87

القوات الصليبية من ناحية البحر و استمرت المناوشات و المعارك ، وكان الأمر يشتد ويزداد كل يوم و ساعة .

فصلاح الدين بعث النفير الى أطراف مملكته[1] و الصليبيون تتوارد عليهم من الإمدادات من أروبا ، فكانت عكا محط أنظار الحملة الصليبية الثالثة .

و يحكى أنه أثناء حصار الجيوش الإسلامية لمدينة عكا سنة (587هـ*1191م) جاء رسول من قبل أحد القادة الصليبين و معه أسير مغربي .فقدمه الى السلطان صلاح الدين على سبيل الهدية فإستقبل الأسير بحفاوة و تقدير لم يرى لهم مثيل[2] .

فمن غير المستبعد ان يتعلق الأمر هنا بالرايس عبد السلام المغربي الذي تم أسره اثناء حصار قوات صلاح الدين لمدينة صور في (583هـ-1187م)و الذي ذاع صيته في مجال الجهاد البحري و من أبرز ما ذكر في التاريخ العلاقات بين المغرب الإسلامي و المشرق ،السفارة التي أرسلها السلطان صلاح الدين الى السلطان الموحدي ابو يوسف يعقوب المنصور طالبا منه نجدته اثناء حصار عكا سنة 586هـ و هذا لما كان عليه الأسطول الموحدي من قوة و هذا ما ذكره ابن خلدون بقوله "و في هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالأساطيل [3].

رابعا : الأسرى المغاربة

ا-طرق أسرهم

ومن الأسباب التي جعلت المغاربة و الأندلسيون يتوافدون على بلاد المشرق (الأسر) حيث كانوا يقعون في الأسر على يدي الفرنجة فيذكر كلود كاهن[4] ثلاثة اصول محتملة للأسر فيقول حجاج القي عليهم القبض في طريقهم الى الحج او كان قد طال مقامهم من أجل المشاركة في

4- ابو شامة ، مصدر سابق ، جزء الثالث، ص 213

5- علي احمد ، مرجع سابق ، ص 304

1- ابن خلدون، مصدر سابق ، ص 200

2-كلود كاهن ، مرجع سابق ، ص 176

الجهاد فاسروا . وتجار كان لهم المصير نفسه او تجار وحجاج أسرهم في البحر القراصنة الصليبيون وباعوهم على سواحل الشام .

ويذكر كذلك ابن جبير الضريبة التي فرضت على المغاربة بشكل خاص من طرف الصلبيين[1] كعقاب لهم لمشاركتهم في فتح أحدى الحصون مع نور الدين محمود الزنكي ، فلطالما علم الصلبيين بمكانة المغاربة لدى حكام الشام و مصر أثناء الحروب الصليبية لذلك كانوا عرضة من غيرهم للأسر ،و خاصة ان الحكام أنفسهم تولوا مهمة انقاض و إفتكاك الأسرى من بين أيدي المسيحين الصليبين و ايضا ما يضمره هؤلاء للمغاربة من عداوة لأنهم في صراع مستمر معهم في الأندلس نظرا للأعمال التوسعية التي قام بها الأندلسيون على حساب أراضي الصليبين .

ب– طرق افتدائهم :

"ومن جميل صنع الله لأسرى المغاربة بهذه البلاد الشامية ، ان كل من يخرج من ماله وصية من المسلمين بهذه الجهات الشامية و سواها إنما يعينها في افتكاك المغاربة خاصة لبعدهم عن بلادهم و أنهم لا مخلص لهم سوى ذلك بعد الله عز و جل .فهم الغرباء المنقطعون عن بلادهم ،فملوك هذه الجهات من المسلمين و الخواتين من النساء و أهل اليسار و الثراء إنما ينفقون أموالهم في هذا السبيل ، وقد كان نور الدين رحمه الله نذر في مرضة إصابته تفريق إثني عشر الف دينار في فداء الأسرى من المغاربة . فلما إستبل من مرضه أرسل في فدائهم ،فسيق فيهم نفر ليسوا من المغاربة و كانوا من حماة من جملة عمالته فأمر بصرفهم و أخرج عوض عنهم من المغاربة . و قال :هؤلاء يفتكهم اهلهم وجيرانهم ، و المغاربة غرباء لا أهل لهم ، فانظر لطيف صنع الله لهذا الصنف المغربي [2]"

و فيض الله لهم بدمشق رجلين من مياسر التجار و كبرائهم ، و أغنياهم ، أحدهما يعرف بنصر بن قوام، و الثاني بابي النار ياقوت مولى العطافي ، و تجارتهم كلها بهذا الساحل الإفرنجي . ولا ذكر فيها لسواهما [3]، و لهما الأمناء من المقارضين ، فالقوافل صادرة وواردة ببضائعهما .و

3– ابن جبير ، مصدر سابق، ص 103

1 –ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 103

2 –نفس المصدر ، ص 103

شأنهما في الغنى كبير و قدرهما عند أمراء المسلمين و الإفرنجيين خاطئة ، و قد نصبهما الله عزو جل لإفتكاك الأسرى المغربيين بأموالهما و أموال ذي الوصايا .

ويذكر انه في سنة 665هـ- 1267م إشترط السلطان بيبرس على أسياد صور الإفرنج ان يطلقوا أسرى المغاربة لكي يوافق على عقد هدنة معهم لمدة عشر سنين ، كما أسقط صلاح الدين الأيوبي مكانه يعرف ب" مكس مكة "و عوض أمير مكة غلالا تحمل اليه في كل سنة ، بعد ان كان يؤخذ من كل حاج مغربي على عدد الرؤوس ما ينسب الى الضرائب و المكوس ، فإذا دخل حاج حبس حتى يؤدي مكسه ، وإذا كان فقيرا لا يملك .فهو يحبس و لا يترك و تفوته الوقفة بعرفه [1].

و يقول ابي شامة في كتابه(الذيل على الروضتين) في صدد حديثه عن سنة 627هـ-1230م في هذه السنة جاء الخبر بأن الفرنج إستولوا على جزيرة ميروقة الى الساحل الشامي ، فاستفك منهم طائفة . فقدموا عليها دمشق واخبروا بما جرى عليهم[2] .

3 – ابو شامة ، مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص 3

1 – ابو شامة ، مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص 142

المبحث الرابع :استنجاد صلاح الدين بالسلطان يعقوب المنصور الموحدي :

أولا : سفارة صلاح الدين الى الدولة الموحدية :

لما اشتد أمر الفرنج على عكا لأرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي الى ملك المغرب[1] يستنجد به عليهم ، ليقطع عنهم الإمدادات من جهة البحر ، فأمر ابن منقذ[2] بالسفر الى المغرب يستنصر بملك المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لما حصر الفرنج – خذلهم الله – عكا بعد كسرة حطين وفتح بيت المقدس[3] .

إتجه ابن المنقذ الى المغرب محملا بالهدايا ، وكان إقلاعه من الإسكندرية في ثالث عشر من رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان الإجتماع بالوزير ابي يحي لبي بكر لبي محمد ابن الشيخ ابي حفص[4]، ودفع كتاب السلطان اليه يوم الخميس سابع ذي الحجة ، وكان الدخول على بعقوب والسلام عليه في العشرين من ذي الحجة [5].

وفي هذا النهار حملت هدية السلطان الى خزانته وكانت هاته الهدية عبارة عن ختمة[6] كريمة في ربعة مخيشة[7] ، ومسك ثلاثمائة مثقال عنبر ، عشر قلائد عددها ستمائة حبة دهان البلسان[8] مائة درهم واحدة ، قسي بأوتارها مائة وقوسان ، عشرون سرج نصول سيوف هندية عشرون نشاب ناسخ خاص مرنيش كبير ومتوسط ضمن صندوقي خشب مجلدة ، سبعمائة سهم[9] .

1–ملك المغرب : هو ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عيد المؤمن ، من سلاطين الدولة الموحدية ، توفي في ربيع الاول سنة 596هـ ، وكانت مدة حكمه 15 سنة ، الذيل على الروضتين وفيات سنة 596هـ

2–ابن منقذ : هو الامير ابو الحارث عبد الرحمان بن محمد بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ لبن اخي اسامة ابن منقذ الشاعر المشهور ولد في شيزر سنة 523 هـ توفي بالقاهرة سنة 600هـ(الوافي بالوفيات) الجزء 18 ص 251–252

3–– ابو شامة ،كتاب الروضتين ، مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص111

4– نفس المصدر ، ص 120

5– نفس المصدر ، ص 120

6–ختمة كريمة :كتاب الله ، المصحف

7–مخيش : المغشى بالذهب

8– دهان البلسان : هو نبات يزرع بالأراضي المصرية بضواحي القاهرة

9– ابو شامة ،كتاب الروضتين ، مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص119

كتب القاضي الفاضل بكتاب ابن منقذ ليطلعه فيه غرض الرسالة التي سيوجهها الى السلطان الموحدي[1] فاستهلها بالبسملة وذكر فيها مكانة بن منقذ ووصفه بعدة القاب ثم ذكر له مهمته والمتمثلة في التوجه الى المغرب وطلب منه كما اوصاه ان يستقرأ في الطريق وفي البلاد لأخبار القوم (أحوالهم – آدابهم – أخلاقهم – أفعالهم) وطلب منه كذلك ان يخاطب السلطان المغربي بما يحبه ويسره . وأوصاه كذلك بان يقص عليه كيفية دخولهم مصر وتوليتها ، وكذلك ذكر صراعهم مع الفرنجة (الصليبيين)[2] وايضا الفتوحات التي قاموا بها و خاصة فتح بيت المقدس ، وانهزام الفرنجة وقتلهم وأسرهم وكثرة نجداتهم[3] ، و منعتها وغناها ويسقى من بئر مخصوصة يقال ان المسيح عليه السلام اغتسل بها حيث قدمت به امه الى مصر ، وخاصتها ان البلسان لا يعيش الا بمائها ولا يوجد بقعة من بقاع الارض غير هذه البقعة ، و يستخرج من البلسان دهن تداوى به الجروح (انظر الصبح الاعشى ج3 ص 311–312) .

بالإضافة الى شرحه لحصار عكا التي حاصرها العدو ، وحصارهم للعدو و كيفية صعوبة الحصار ، ومجيء الحملة الصليبية الثالثة لدعم المسيحيين الصليبيين المحاصرين بعكا .

وذكر سبب ارساله الى المغرب (وهو طلب النجدات المغربية الموحدية) وطلب منه ان سئل عن يوزبا وقراقوش ان ينكرهم ، وفي الأخير قام القاضي الفاضل بالدعاء لابن المنقذ من اجل تسهيل مهمته وتيسيرها وكتب تاريخ الرسالة في آخر الرسالة[4] .

1–انظر ملحق رقم 2 ص 84
2– انظر ملحق رقم 2 ص84
3– انظر ملحق رقم 2 ص85
4–انظر ملحق رقم 2 ص86

ثانيا :الرسالة التي بعثها صلاح الدين الأيوبي للسلطان الموحدي :

قام صلاح الدين الأيوبي بكتابة رسالة للسلطان الموحدي بنفسه [1]، حيث إستهلها بعنوان ورد فيه " بلاغ الى محل التقوى الطاهر ، ومستقر حزب الله الطاهر . من المغرب اعلى الله به كلمة الايمان ، ورفع منار البر والاحسان "[2] فابتدأ بالبسملة ثم كتب اسمه الفقير الى رحمة ربه يوسف ابن ايوب ، ثم حمد الله وشكره و صلى على نبيه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ثم يذكر آية من كلام الله [3]<< ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم >>[4]

ليبدأ كلامه بالتحية ثم قام بتهنئة فتح البيت المقدس ، وذكر له ما فتح من البلاد وافتكاكها من الصليبيين ، وذكر ايضا ان فقط طرابلس وصور ، و مدينة انطاكية لاتزال تحت ايدي الفرنج [5]، وقام ايضا بإعلامه ان الفرنجة استقووا بالإمدادات التي تصلهم من اوروبا و من الصليبين المتواجدين في بلاد الشام و مصر ، برا وبحرا من اطعمة والات واسلحة و النقود و المقاتلين . و اطلعه ايضا ان الجيش الصليبي في تزايد مستمر. فاخبره عم صعوبة موقفهم ، وشرح له الوضعية التي اصبح عليها المسلمون والصليبيون اثناء حصار عكا [6].

ثم تقدم صلاح الدين الأيوبي بطلبه للمساعدة (طلب نجدة السلطان الموحدي) حيث بين له ضرورة الاتفاق و الاتحاد و اهمية ذلك من اجل اعلاء راية الاسلام ، ثم يختم رسالته بالسلام ، ليكتب في اخر الرسالة التاريخ (كتب في شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة) ليختم بالحمد والشكر والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم[7] .

1– ابو شامة ،كتاب الروضتين ، مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص115
2–نفس المصدر ، ص 115
3– انظر ملحق رقم 3 ص87
4–سورة الحشر ، الآية 10
5 –انظر ملحق رقم 3 ص87
6 – انظر ملحق رقم 3 ص88
7– انظر ملحق رقم 3 ص 88

ثالثا : عدم استجابة الملك الموحدي لنجدة صلاح الدين

أسباب ذلك :

و بعد ان ارسل السلطان صلاح الدين الايوبي ليعقوب المنصوري لأجل نجدته لم يستجب هذا الاخير له حيث ذكر المؤرخون ان السبب يعود الى ان صلاح الدين لم يلقب يعقوب المنصور بأمير المؤمنين[1] ، لكن هذا لا ينهض كدليل على عدم الاستجابة يعقوب المنصوري لنداء صلاح الدين و انما كان راجعا الى ان يعقوب المنصوري كان دائما على اهبة الاستعداد لحرب النصارى في الاندلس[2] و ذكر بعض المؤرخين سببا اخر منع ابى يوسف من دعم صلاح الدين و ذلك لان توسع صلاح الدين في غرب مصر، بحروب قام بها بعض اتباعه و خصوصا قراقوش التقوى الذي حالف بعضهم اعداء الموحدين كحرب بني هلال و ابن غانية الذي كان يدعوا الى المرابطين و هذا سبب وجيه[3] .

و يبدوا ان ظهور دولة صلاح الدين الايوبي على انقاض الدولة العبيدية الرافضة في مصر ساءهم لان ذلك ترتب عليه ظهور شعار العباسيين من جديد في تلك الديار . و لان الموحدين لم يعترفوا بخلافة العباسيين ، و كانوا يرون ان دار الخلافة الشرعية هي في مدينة مراكش لا ببغداد [4]وكانت طموحات خلفاء الموحدين ظاهرة من اجل توحيد العالم الاسلامي تحت لوائهم ولاسيما في عهد الخليفة يعقوب المنصور الذي ينسب اليه صاحب المعجب تصريحات تدل على رغبته في الرحلة الى المشرق و تطهيره من عيوبه[5].

وقد اشار الذهبي الى تصريح السلطان ابي يوسف المنصور برغبته من قصد مصر[6].

1– ابو شامة ،كتاب الروضتين ، مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص121

2–حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، دار الجيل ، بيروت ،طبعة 13 ، 1991، الجزء الرابع ، ص 216

3–شوقي ابو خليل ، الارك ،دار الفكر ، الطبعة الاولى ، 1979،ص 70

4–علي محمد الصلابي ، دولة الموحدين ،دار البيارق للنشر ، عمان ، 1990، ص 190

5–عز الدين عمر احمد موسى ،دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي ، دار الشرون ،الطبعة الاولى ، 1983،ص 190

6–الذهبي الامام شمس الدين محمد ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ،1402هـ، ص 315

و قد عبر عن هذه الرغبة بوضوح شاعر الموحدين ابو العباس ابن عبد السلام الجراوي في بعض اشعاره كقوله في مدح الخليفة الموحدي يعقوب المنصور[1].

ان الخلافـــة نالت من محاسنكـــم

اوفى الحظوظ فأبدت منظرا عجبا

اعلى المراتب مــن بعـــد النبوة قد

حبابها الله اعلـــى الخلق و انتخبا

سينظم السعد مصرا فـــي مماليكه

حتى يدوخ منــه خيلـــــه حليا

الى العراق الى اقصى الحجاز الى

اقصى خراسان يتلو جيشه الرعبا

هـــو الذي كانت الدنيا تؤملــه

وكل عصـــــر لـــته مازال مرتقبا [2]

لاشك ان الموحدين كانوا يخططون لغزو بلاد المشرق الاسلامي و ان اولى الخطوات المستهدفة هي بلاد المصرية فقد صرح السلطان الموحد المنصور برغبته بغزو البلاد المصرية و ذكر ما فيها من المناكر و البدع ، و قال نحن انشاء الله مطهروها و لم يزل هذا عزمه الى ان توفي[3] .

علم امراء الدولة النورية و الأيوبية على عزم الموحدين هذا فأرادوا ان يأخذوا زمام المبادرة في ايديهم ، فقام الأيوبيين بتكليف بعض كبار شخصياتهم بالتوجه الى بلاد المغرب و ايجاد مراكز

7–علي محمد الصلابي، مرجع سابق ، ص 191

1–احمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، ص 115

2–د. امراجع عقيلة الغناكي ، سقوط دولة الموحدين ، 1988، منشورات جامعة قاريونس ، ص 198

نفوذ لهم بها[1] .و ذلك حتى تكون هذه المراكز خط الدفاع الاول عن الامارات المشرقية في وجه الاطماع الموحدية ، و كانت غزوة قراقوش للمغرب هي احدى هذه الخطوات التي بادر الأيوبيين باتخاذها [2].

و قد رفض المنصور رسالة النجدة لدوافع نفسية حزازات سياسية ، و موقف داخلي متوتر ، ارجي متربص ، و لقد اكرم سلطان الموحدين سفير صلاح الدين و بالغ في اكرامه [3]ولما مدحه سفير صلاح الدين ابن منقذ في قصيدة سعدتها اربعون بيت اعطاه بكل بيت الفا .

ومن القصيدة :

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته

الى البحر جود ما لأخراه ساحل

الى معدن التقوى الى كعبة الندى

الى سمى بالذكر منه الاوائل

الى امير المؤمنين و لم تزل

الى بابك المأمول ترجى الرواحل

قطعت اليك البر و البحر موقنا

بأن نداك الغمر بالنجح كافل

و حزت بقصيدك العلا فبلغنها

و ادنى عطاياك العدد و الفواصل

3– علي محمد الصلابي، مرجع سابق ، ص191

4–امراجع عقلية الغناكي ، مرجع سابق ، ص 198

1– علي محمد الصلابي، مرجع سابق ، ص192

فلا زلت للعلياء و الجود بانيا

تبلغك الآمال ما انت امل [1]

لو التقى صلاح الدين مع السلطان يعقوب المنصور في غرفة مباحثات مغلقة توصلوا الى امور تنفع الامة كلها نظرا لما تميز به صلاح الدين من مرونة سياسية منقطعة النظير و لما وصل اليه السلطان المنصور من حرصه على اصلاح عقائد الموحدين و الاقتراب من منهج اهل السنة و الجماعة و لكن الله غالب على امره[2].

و مهما يكن من شيء فإن هذا الخلاف السياسي الذي وقع بين عاهل المشرق و المغرب ، لم يحل دون تعاون شعوبهما في السراء و الضراء كما هو الحال في كل مكان و زمان فمن المعروف من كتب التراجم المختلفة ان عددا كبيرا من المغاربة قد ساهموا في الحروب الصليبية الى جانب اخوانهم المشارقة و استشهد عدد كبير دفن في فلسطين[3] .

اورد ابو العباس احمد بن خالد الناصري في كتابه " الاستقصاء "الى اشارة مضطربة يقول فيها :و مما وقف عليه (الكتاب) المنصور و رأى تجافيهم عن خطابه بأمير المؤمنين لم يعجبه ذلك و اسرها في نفسه ، و حمل الرسول على مناهج البر و الكرامة ،و رده الى مرسله و لم و لم يجبه الى حاشيته و يقال انه جهز له عد ذلك مائة و ثمانين اسطول ، ومنع النصارى من سواحل الشام و الة تعالى اعلم[4] .

لا يصح الاعتماد على هاته الاشارة لأن لو كان ذلك صحيحا لكان لذلك وقع صداه في البلدان التي شاركت في الحملة الصليبية الثالثة و بالتالي انعكاس في وثائقها و مصادرها .

1- شوقي ابي خليل ، مرجع سابق ، ص 74

1- علي محمد الصلابي، مرجع سابق ، ص193

2- ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 274-280

3- الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى (الدولتان المرابطية و الموحدية) الجزء الثاني ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء ، 1995 ، ص 182- 183

الفصل الثاني

الدور الحضاري للمغاربة في المشرق(مصر و الشام) في فترة الحروب الصليبية

المبحث الأول : الرحلات العلمية المغربية الى المشرق(مصر والشام)في فترة الحروب الصليبية

المبحث الثاني : دور العلماء المغاربة في المشرق (مصر والشام) زمن الحروب الصليبية

المبحث الثالث : أوقاف الشيخ ابي مدين الغوث في القدس

المبحث الرابع: مراكز المغاربة في القدس

المبحث الأول :الرحالات العلمية المغربية الى المشرق (مصرو الشام) في فترة الحروب الصليبية

تكاد لا تخلو ثقافة من الثقافات و لا لغة من اللغات من أدب الرحلات فهو ذو مكانة مهمة و تزداد أهميته و خصوصيته عندما تشتد الرحال ، و يؤم الرحالة الى الأراضي الشامية ، إرتحلوا اليها ليروا بأعينهم و يحكوا لنا إنطباعاتهم و يدونوا لنا وقائع رحلاتهم و إسهاماتهم .

لقد إشتهر عن المغاربة التدين و طلب العلم ، و حب الدفاع عن الأمة لذا هناك رحلات مغاربية باكرة الى بلاد الشام ، رحلات لم تكن لأسباب علمية فحسب ، إنما للمشاركة في الدفاع عن الثغور الإسلامية[1] .

أولا: الإدريسي

ولد الشريف الإدريسي في مدينة سبتة عام (493هـ-1100م) وقد جاب كثيرا من البلاد و الأمصار ،وكان له السبق في وضع خرائط لم يكن العالم يعرف عنها او يسمع بها او يفهمها ، و كان جغرافيا بإمتياز و رجل دولة ،عارفا بالعلوم الحساب و الهندسة و الفلك و الطب ....[2]، أقام عند (روجار الثاني) ملك صقلية عشرين عاما رسم خلالها خريطة العالم على (لوح الترسيم)، وهو بشكل دائرة من الفضة الخالصة ووصف الأقاليم التي زارها ، وجمع مشاهداته في كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق)و قد أتمه في عام 1145م و فيه ذكر الإدريسي شهادات يعتمد عليها ،و بخاصة في إحتلال الغزاة الفرنجة لبلاد الشام و بيت المقدس .

كان الإدريسي شاهد عيان و ليس راويا او ناقلا لحقيقة تعامل المسلمين مع المعالم الدينية و أصحاب الشرائع الأخرى في الأراضي الشامية ، و بخاصة مدينة القدس زاراها الإدريسي في أواسط القرن الثاني عشر ميلادي و كانت تحت الإحتلال الصليبي .

1-عبد المجيد بهني ، اثر مهاجري المغرب الاسلامي في الحياة العلمية بالمشرق خلال القرنين السادس و السابع الهجريين ، مرجع سابق، ص 100

2-القفطي ، جمال الدين يوسف ، اخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح السيد الامين الخانجي ،دار الكتب الخديوية بمصر ، ص 60

كتب الإدريسي عن أهم المزارات في القدس ،و كان الأكثر إهتماما بشأن المزارات المسيحية في القدس لعل السبب في ذلك كان على خلفية طلب ملك صقلية (روجار الثاني) من الإدريسي التحقيق من ذلك ، فتحدث عن كنيسة القيامة ،شهادة كافية ليس فقط للتدليل على مدى احترام المسلمين للمقدسات الأخرى ،ثم يتحدث الإدريسي عن المجسد الأقصى فيقول " ليس في الأرض كلها مسجد على قدره إلا المجسد الجامع الذي في قرطبة في ديار الأندلس " كما قام بوصف دقيق لقبة الصخرة و أماكن إسلامية أخرى في المدينة المقدسة،[1] و تناول أيضا في كتابه الوضع الاقتصادي لمدينة إبان الغزو الصليبي و النشاط الزراعي فيها فقال "ان مدينة بيت المقدس في وهده بين جبال كثيفة الأشجار ....أشجار الزيتون و التين و الجميز و الفواكه المختلفة"[2] .

ثانيا :ابن جبير :

هو ابو الحسين محمد ابن جبير بن سعيد بن جبير الكناني الشاطبي البلنسي ، ولد في العاشر من ربيع الأول سنة 540هـ –1145م في مدينة بلنسية ، و ينحدر من أسرة عربية عريقة قدمت من المشرق ، ودخلت الى الأندلس في القرن الثاني للهجرة (الثامن ميلاي) مع القائد بلج بن بشر بن عياض القشري[3] .

كان شغوفا بالتعلم ، تعلم ابن جبير على أبيه و غيره من العلماء العصر في سبتة و غرناطة بالأندلس ، فدرس العلوم الدينية من فقه و حديث و قراءات كما أتقن اللغة العربية و النحو و الأدب ، و كان شغوفا بالتعلم فسعى الى رجاله في كل مكان ،فكان في قائمة أساتذته من لقيه في سبتة و مكة و ببغداد و حران ودمشق وغيرها[4].

1–الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، 2002 ،ص 410
2–نفس المصدر ، ص 410
3–القفطي ، مرجع سابق ،ص 303
4–حسين نصار ، مقدمة تحقيقه لكتاب رحلة ابن جبير ، القاهرة 1992 ، ص4

اشتهر ابن جبير بموهبته الأدبية في قرض الشعر و إحتراف الكتابة ، فعمل لدى الأمراء الموحدين الدين كانوا يسيطرون على الأندلس والمغرب في ذلك الوقت ،وكان أشهر من إتصل بهم ، حاكم غرناطة ابو سعيد بن المؤمن الذي عمل ابن جبير كاتبا في ديوانه[1] .

قام ابن جبير بثلاث رحلات الى الشرق ، قصد فيها جميعا الحج ، الذي كان مقصد جل الراحلين من المغرب الى المشرق الألم يكن كلهم ، و الذي وهب الأدب العربي مجموعة من أجمل ما عرف في الرحالات ، و خاصة إذا أضفنا اليه طلب العلم و لم يدون ابن جبير أخبار هذه الرحلات كلها في كتابه المعروف باسم " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" او بإسم " رحلة بن جبير "بل قصره على الرحلة الأولى و حدها و قد عنى المستشرقين بها ودرسوها دراسة دقيقة ، ونشر هذه الرحلة لأول مرة المستشرق البريطاني وليم رايت **william wright** سنة **1852**م[2] .

كان ابن جبير يدول مشاهداته خلال رحلته على صور أشبه بالمذكرات اليومية لا كتاب متصل مطرد ثم نسق هذه المذكرات وفقا لمراحل الرحلة هو او بعض تلاميذه ،واستعمل فيها التاريخين الهجري والميلادي ، وقد عنى ابن جبير عند كتابة رحلته بالرسوم الدينية و النواحي الاجتماعية ، عناية فائقة ، فمشاعر الحجاج وصعوبات السفر ومواكب الامراء وتجارة مكة كلها موصوفة وصفا بارعا دقيقا ورحلته فيها كثيرة من الصور التي توضح العلاقات بين أهل البلاد والصلبيين في الشام[3].

و يشير ابن جبير الى الحياة الاقتصادية من حيث المزروعات و السلع المتبادلة ، وكان شديد العناية بالبحث عن المدارس و البيمارستانات (المستشفيات)،و قد أثر ابن جبير في كثير من الكتاب الذين جاؤوا من بعده ، فنقلوا أجزاء كبيرة من رحلته فنقل عنه محرر رحلته ابن بطوطة

1–عبد الرحمان حميدة ، اعلام الجغرافيين العرب ، دمشق ، 1995 ، ص 37

2–ابو القاسم التكروي ، دراسة في ادب الرحلات عند علماء افريقيا ، تحقيق الهادي مبروك الدالي ، دار الكتب الوطنية ، الطبعة الثانية 2004 ، ص 43

3– ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 66

عنه وصف كل من حلب و دمشق و بغداد و نقل عنه الفاسي في كتابه " شفاء الغرم بأخبار البلد الحرام "و المقري في كتابه " نفح الطيب "و " الشربيني " في شرحه لمقامات الحريري و غيرهم [1].

غادر ابن جبير غرناطة في رحلاته الأولى عام 587هـ-1183م برفقة جده لأمه القاضي ابن عطية ،و صديقه جعفر احمد ابن حسان القضاعي الأديب ، الطبيب في سفينة قصد بها الإسكندرية[2] ، وتنقل في أنحاء مصر ثم إتجه الى عيذاب على ساحل البحر الاحمر و منها الى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، ومكث هناك مدة ثم إتجه الى العراق و بعدها الى بلاد الشام ، ثم ركب البحر من عكا عائدا من بلاد فوصل عام581هـ-1185م فكانت مدة رحلته عامين و ثلاثة أشهر و نصف [3].

1. سبب رحلته الأولى :

ذكر ابن الرقيق ان دافع ابن جبير الى رحلته الأولى هو ان الأمير ابا سعيد استدعاه ليكتب له رسالة فقدم عليه فوجده في مجلس شرابه فمد إليه الامير يده بكأس ، فأظهر ابن جبير الانقباض ،و قال : يا سيدي ما شربتها قط "فقال "و الله لتشربن منها سبعا[4]".

فلما رأى اصرار الأمير اضطر أن يشرب سبع كؤوس.

2. رحلته الثانية :

3. قام ابن جبير رحلة ثانية ، بعد ان علم بانتصار المسلمين على الصليبين عام 583هـ1187م، فقرر الذهاب مرة أخرى الى الشرق لمشاهدة المناطق التي حررها المسلمون

4-القفطي ، مصدر سابق ، ص 306

1-نقولا زيادة ، الجغرافيا والرحلات عند العرب ، الاعمال الكاملة ، الجزء الثاني ، بيروت ، 2002 ، ص 96

2-ابن جبير ، مصدر سابق ، 5

3-نفس المصدر ، ص 20

بعد إنتصارهم على الصليبين فإرتحل الى هناك عام 585هـ 1189م ، وعاد أدراجه الى بلاده عام 587هـ-1191م[1].

4. رحلته الثالثة :اما رحلته الثالثة و الأخيرة فقد بدأها من سنة 601هـ -1204م و كان قد بلغ الثالثة و السبعين من عمره ، و قد أحزنه وفاة زوجته عائكة ام المجد ، التي نظم فيها ديوانه "نتيجة الجوانح في تأبين القربى الصالح "فأمضى في رحلته هذه اكثر من عشرة أعوام متنقلا بين مكة و المدينة و بيت المقدس ، ثم تجول بمصر و الاسكندرية مشتغلا بالتدريس و الأدب ، الى التحق بربه عام 614هـ-1217بالإسكندرية[2] .

ثالثا : ابن سعيد المغربي

هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد[3] بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسين بن عمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمار بن اليسار العسني[4] يكنى بابي الحسن ، ولد بغرناطة سنة610هـ[5]، نشأ في إشبيلية التي درس بها حيث كانت هاته المدينة مركز الثقافة الأعظم في تلك الفترة ، فطالما كانت لعائلته ميول الى العلوم و التأليف تلقى علومه على يد عدد من علماء الأدب و النحو من أمثال ابي علي الشلوبيني النحوي ، و الأعلم البطليوس مقرئ من أشياخ الأدب و ابي حسن الدباج مقرئ الأدب و امام جامع العبس[6].

إرتحل الى المغرب 627هـ هو و والده و ذلك لجمع المادة التاريخية و الشعرية الخاصة بمراكش لكتاب " المغرب "[7]ثم عاد الى اشبيلية ليرتحل مرة اخرى الى تونس و بقيا فيها حوالي عامين و في

4- عبد الرحمان حميدة ، مرجع سابق ، ص 410

1-حسين محمد فهيم ، ادب الرحالات ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب الكويت ،ص 104

2- ابن سعيد علي بن موسى ، المغرب في حلي المغرب، تحقيق الدكتور شوقي ، دار المعارف ، مصر ، 1953 ، ص 174

3-نفس المصدر ، ص 161

4-نفس المصدر ، ص 174

5-محمد جابر الانصاري ، التفاعل بين المشرق و المغرب ، في آثار ابن سعيد المغربي و رحلاته المشرقية و تحولا ت عصره ،دار الغرب الطبعة الاولى بيروت لبنان ، ص 83

6-نفس المرجع ، ص 84

هذه الإقامة جمع ابن سعيد كثيرا من المواد العلمية التي استفاد منها في تصنيف كتابه الهام " القدح المعلى "و بلغ نشاطه العلمي ذورته خلال هذه الفترة بإجتماعه الى ابن الابار[1] من كبار مصنفي القرن السابع الهجري في المغرب .

أ) رحلته الاولى :

وصل ابن سعيد ووالده الى الإسكندرية سنة 639 هـ[2]، و كن سلطان مصر عندئذ الصالح الأيوبي (637هـ-647هـ)و في الإسكندرية ترك ابن سعيد والده الذي كان على ما يبدوا قد أنهك من طول السفر و رحل الى القاهرة ، مركز الحركة الثقافية الناشطة عندئذ و دار السلطة ، إلا أنه اضطر الى العودة الى الإسكندرية بسبب المرض والده الذي توفي سنة 640 ليعود الى القاهرة ، استطاع ان يدخل مجتمع مصر الأدبي ، فمن خلال هاته الإقامة القاهرية يمكن ابن سعيد من إعداد مادة الجزء الخاص بمصر ،من كتاب المغرب ، فكون صداقة مع ابن العديم الحلبي[3] فشجعه هذا الأخير على القيام برحلة جديدة نحو بلاد الشام ، حلب ، بيت المقدس و في حلب تفاعل ابن سعيد مع الجو الثقافي ، الذي كانت تحركه شخصيات علمية و شعرية كإبن العديم و الشهاب التعلفري ، وعون الدين العجمي[4] .....، ومن حلب الى دمشق ،فزار في طريقه كلا من حمص ، و حماة ، بحثا عن الخزائن العلمية و أدى فريضة الحج سنة651هـ[5].

7-هو محمد ابن عبد الله القضاعي ابن الابار ، انظر ترجمته ، عنوان الدراية ، ص 183

1- المقري ، مصدر سابق ، ص 93

2- هو كمال الدين عمر بن ابي جراد المشهور بابن العديم اديب فقه قاض محدث (588هـ-660هـ)راجع ترجمته في معجم الادباء ياقوت الحموي ، ص 5 ،57

3- المقري ، مصدر سابق ، ص40

4- القلقشندي احمد ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الابياري ، الطبعة الاولى ، نشر دار الكتب ، القاهرة ، ص120

عودته الى تونس :

عندما وصل ابن سعيد الى تونس بعد طول غيبة ،فقد كانت إقامته بتونس بالنسبة له فترة استراحة و مراجعة للمادة المجمعة .....و تهذيب لها و تعريب [1]....

ب) رحلته الثانية : لا تسهب المصادر التي بين أيدينا في ذكر هذه الرحلة الثانية ، و لكن لدينا ما يكفي من الإشارات لتأكيدها فالمقري عن كتاب ابن سعيد "عدة المنجز و عقله المتوفر "أنه إرتحل من تونس الى مشرق هذه المدة سنة 666هـ،و يروى عنه أخبارا شائعة من حصيلة الرحلة الثانية ...و دلالة أخرى على حصول هذه الرحلة تأتي من المصنفين المشارقة الذين توهموا أنه توفي في أثناءها مما يدل على تأكدهم من وجوده في المشرق في تللك الفترة[2] .

رجوعه الأخير الى تونس ووفاته :

1-نقل المقري عن ابن الخطيب ، أوثق من يمكن ان يؤرخ لإبن سعيد بحكم القطر و المدينة و الزمن ، أنه توفي بتونس في حدود سنة خمس و ثمانين و ستمئة[3] .

2-و ذكر ابن فرحون و يبدوا انه ينقل عن ابن الخطيب ، أنه توفي بتونس في السنة المذكورة[4] .

3-و ذكر المؤرخ المصري جلال الدين السيوطي ما رواه ابن فرحون و ابن الخطيب [5].

4-إلا ان بعض المؤرخين المشارقة و على رأسهم ابن شاكر الكبتي ، و ابن تغري بردى ، ذهبوا الى أنه ابن سعيد توفي سنة 673هـ [6].

ومنه المرجح أنه توفي بتونس سنة 685هـ[1] .

1- محمد جابر الانصاري ، مرجع سابق ، 100ص

2-ابن شاكر الكبتي ، فوات الوفيات ، الجزء الثاني ، بولاق 1283هـ ، ص 206

3- المقري ، مصدر سابق ، ص41

4-ابن فرحون برهان الدين ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، مطبعة المعاهد ، مصر 1351هـ ، ص 208

5-السيوطي جلال الدين ، حسن المحاضرة ، الجزء الاول ، القاهرة 1321هـ ، ص 266-

6-محمد جابر الانصاري ، مرجع سابق ، ص 93

المبحث الثاني : دور العلماء المغاربة في المشرق (مصر والشام) أثناء الحروب الصليبية

لعب العلماء من الفقهاء والأدباء والشعراء المغاربة دورا مهما في الصراع الإسلامي الصليبي في فترة الدولة الزنكية والأيوبية ، حيث كان لهم دور فاعل في المقاومة ضد الغزو الصليبي، هذا الدور الذي أتخذ عدة أوجه بدءا بتحريض الحكام والأمراء والماس على المقاومة والانخراط فيها الى مرحلة المشاركة في صد العدوان ، ثم المشاركة الفعلية في المعارك التحرير التي خاضتها الجيوش الإسلامية والمقاومة الشعبية .

أولا : التعليم الديني

تمرس العلماء المغاربة بتدريس الفقه المالكي[2] في مدارس خاصة بهم ، حيث شاركهم بعض كبار علماء المالكية من المشارقة (جمال الدين عثمان بن الحاجب المتوفي سنة 646هـ / 1249م) وكذلك الفقيهين الشافعي والحنفي ، لمعت شهرة المغاربة في قراءة القرآن– القراءات السبع – وعرف منهم : علي بن عبد الله بن الهادي الاشبيلي (648هـ / 1250م) و الزين الزواوي ، و ابو جعفر احمد القرطبي (596هـ –1200م) مؤسس الأسرة القرطبية بدمشق و أمام الكلاسة ، وعلي ابن عبد الله الأشبيلي (646هـ/ 1248)[3] ، و القاسم بن السداد (661هـ / 1263م) و ابو بكر عمر بن علي القسنطيني (695هـ / 1296م) تلميذ ابن معطي الزواوي الحنفي (628هـ) واحمد بن شعيب الصقلي (663هـ / 1265م) تلميذ علم الدين السخاوي وابو بكر محمد بن التونسي (718هـ).

1–توصل الى هذا الاستنتاج ذاته كل من ، الدكتور شوقي ضيف في مقدمة المغرب (قسم الاندلس) ص 8، والدكتور زكي محمد حسن في مقدمة المغرب (قسم مصر) ص 17 ، و ابراهيم الابياري محقق كتابي (الغصون اليانعة) و (اختصار القدح المعلى) لابن سعيد.

2– ابو شامة، مصدر سابق ، ص 322

3–ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، تحقيق دكتور احسان عباس ، ج3 ،دار الغرب الاسلامي ،ط 2، 1993،ص 141

تميز المغاربة المقيمون بدمشق في علم الحديث وتدريسه نذكر منهم [1]: ابراهيم بن عيسى المرادي الاشبيلي الشافعي (668هـ / 1263م) أمام المدرسة الباذرائية وشيخ الحديث فيها ، بالإضافة الى تولية إمامة مشيخة الحديث الاشرفية ، بعد ابو شامة ، فإستمر فيها الى حين وفاته ، تتلمذ على المرادي عدد من مشاهير العلماء ، منهم الشيخ محي الدين النواوي (676هـ / 1277م) الذي تولى إمامة مشيخة الحديث الأشرفية .ودرس بها كتاب " الجامع بين الصحيحين " وهو مصنف في علم الحديث ، و ضعه قبل قرنين من الزمن ، عالم مغربي لدى الحافظ ابو عبدالله الحميدي الميروقي (488هـ / 1195م) ونذكر كذلك الحافظ زين الدين محمد بن يوسف البرزالي الأشبيلي ، محدث الشام (636هـ / 1238م) ومحمد بن سعيد بن الجنان الأندلسي (675هـ / 1276م) [2].

نبغ المغاربة بجانب إخوانهم المشارقة في علوم اللغة العربية وبخاصة في علم النحو[3] ، وتفوقوا علىهم فيه ، يحضرنا في هذا السياق ذكر ابن معطي الزواوي صاحب " الألفية " الاولى وتلميذه جمال الدين محمد لن مالك الجياني (672هـ / 1273م) صاحب " الالفية " المشهورة في النحو ، و ابنه بدر الدين محمد المعروف بإبن الناظم (686هـ / 1287م) شارح "الفية " ابيه ، والقاسم بن احمد اللورقي (661هـ / 1262م)[4].

ثانيا : التعليم الدنيوي

ثمة مجال تعليمي أخر برع فيه المغاربة بدمشق يتمثل في الطب والصيدلة . فقد كان محمد لبن عبدالله الباهلي الإشبيلي رئيسا للأطباء في البيمارستان النوري ، والطبيب الخاص لنور الدين زنكي ، ويذكر ابن شداد[5] ان الطب بدمشق في عصره كان يدرس في اللبودية النجمية ، إحدى

4– احمد حطيط ، مرجع سابق ، ص 30

1–ابو شامة ، تراجم الرجال ، ص 208،207،206

2– ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 167

3– القفطي ،مصدر سابق ، ص 541

4– ابن شداد عز الدين ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام و الجزيرة ، تحقيق يحي زكريا عبارة ، وزارة الثقافة السورية ،1991،الطبعة الاولى ،ص 266

مدرستي الطب في دمشق آنذاك ، كانت هذه المدرسة منذ إنشائها عام 664هـ ، واستمرت لفترة طويلة ، مركز استقطاب لعدد وافر من الأطباء المغاربة الذين استقروا بدمشق ، كجمال الدين الزواوي ، ثاني قاضي قضاة المالكية بدمشق ، و الجرايحي ياسين ابن عبد الله المغربي المراكشي (687هـ)احد أوائل شيوخ الإمام النواوي ، وكذلك احمد النبطي المعروف بابن الرومية (637هـ) المتعدد المعارف . ومنها علم النبات [1]، وعبد الله ابن البيطار المالقي (646هـ / 1248) مصنف كتاب " المفردات في الادوية" وصاحب الباع الطويل في علم النبات ، الى جانب الطب ، و كان رئيس الصيادلة في أيام الملك الكامل الأيوبي ، و واده الصالح أيوب ، و كذلك منصور بن علي بن عبد الله المغربي ، الذي قال فيه أبو شامة << بأنه فاضل في علم الطب >> ونذكر أيضا تلك الخدمات الجليلة التي قدمها أطباء أندلسيون لصلاح الدين و جيشه وشعب الشام .

و من هؤلاء الأطباء ، ابو الحكم تاج الحكماء عبد الله بن المظفر الباهلي المولود بمدينة المرية جنوب الأندلس ، او بمدينة مرسية في شرق الأندلس سنة (486هـ / 1076م) وقد درس الطب بالأندلس ومصر ، حتى إشتهر كطبيب معروف ، وفي بداية أمره توجه الى بغداد ، وفيها شغل طبيب البيمارستان ، التي كانت تحمل عقاقيره و أدويته في المعسكر السلطاني على أربعين جملا[2] ، و لما سمع بتهديد الصليبيين لدمشق غادر بغداد و أقام بدمشق ، يداوي الناس بدكان عند باب جيرون بالقرب من المسجد الأموي الكبير حتى وفاته سنة (549هـ / 1155م)[3].

و كذلك فعل إبنه ابو المجد بن عبد الله الباهلي الملقب بأفضل الدولة ، وتفوق على والده فصار في علوم الطب من أحذق أطباء زمانه ، الأمر الذي جعل نور الدين زنكي يعتمده كمسؤول أول عن إدارة البيمارستان ، الذي أنشاه في دمشق خلال السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن السادس هجري ، و قد أدى خلال حياته خدمات رائعة في ميدان الطب ، فقد كان

1–ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، بيروت 1979 ، جزء الخامس ، ص 243

2– القفطي ، مصدر سابق ، ص 264

3–المقري ، مصدر سابق ، ص 234

عمله اليومي مقسما الى ثلاث فترات، خصص الأولى لزيارة مرضى البيمارستان و خصص الثانية لزيارة مرضى القلعة من الحكام وإتباعهم ، وخصص الثالثة للتدريس في أيوان البيمارستان النوري [1].

كما قام الطبيب الأندلسي عمر ابن علي اليذوخ القلعي المتوفى بدمشق سنة : (573هـ-1181هـ)[2]بممارسة المداواة العامة .

واختلف عن بقية زملائه من الأندلسيين بتصنيع الدواء وتحضيره بنفسه [3].

و نذكر ايضا عبد المنعم الجلياني نسبة الى (جليانة على مقربة من غرناطة في جنوب شرق الأندلس) المتوفي سنة (603هـ -1207م) إشتغل منذ وقت مبكر في ميدان الطب و الأدب ، و تفوق فيها بشكل ملحوظ ، رحل الى المغرب ومنها الى بغداد ، حيث اطلع على خزائن الكتب الطبية الفنية ، و لما سمع بما يحدث في الشام من حرب ضد الأعداء الصليبيين ، ترك بغداد متوجها الى دمشق ،حيث عمل طبيبا رئيسا في البيمارستان السلطاني في السفر و الحضر أيام صلاح الدين الأيوبي ، وظل هكذا حتى وافته المنية[4] .

و قد حظي عند صلاح الدين الأيوبي طبيب أندلسي أخر وهو يحي البياسبي الملقب بأمين الدين ، بعد ان ترك الأندلس ، وصل الى مصر و إستقر فيها مدة قصيرة من الزمن و توجه بعدها الى مدينة دمشق ، واستقر فيها بشكل نهائي ، و يعد البياسبي طبيبا أندلسيا درس الطب في بلاد الشام ، واشتهر ، مما جعل صلاح الدين الأيوبي يعتمده في قائمة أطبائه الرئيسيين ، الذين رافقوه في أثناء غيابه عن مدينة دمشق لمحاربة الصليبيين[5] ، بالإضافة الى الوظائف الدينية التعليمية و الطبية ، أسندت الى المغاربة وظائف أخرى مختلفة منها : نظر الدواوين والحسبة ، و

4-الصفدي الصلاح ابن ايبك ، الوافي بالوفيات ، الجزء الرابع ، طبعة دمشق ،1959 ، ص 24

5-ابن ابي اصيبعة ، عبون الانباء في طبقات الاطباء ،ج 2 ،ط 1 ، المطبعة البهية ،1882،ص 155

1- ابن ابي اصيبعة ،مصدر سابق ،ص 157

2-نفس المصدر ،ص 158

3-ابو شامة، الروضتين ، مصدر سابق ، ص 341

وكالة بيت المال و عمل الخزانة و نظر البيمارستان و أمانة السجن ، أما المهن المسماة اليوم " المهن الحرة "وخاصة تلك المتصلة بالتبادل الاقتصادي ، و تجارة العقارات و التبادل التجاري و المالي .

ثالثا : القضاء

ثمة خاصية تميز بها قضاة المغاربة في الوسط الدمشقي ، المالكية منهم تحديدا ، تمثلت في البساطة و الإبتعاد عن مباهج الدنيا و بهارجها ، مما أضفى على منصب قاضي قضاة المالكية مهابة مؤكدة ، فقد جاء في بعض المصادر[1] ان زين الدين عبد السلام الزواوي (681هـ –1282م) إشترط على السلطان الظاهر بيبرس كي يقبل تكليفه بمنصب قضاء قضاة المالكية بدمشق (664هـ –1266م). فإستمر في منصبه الى أن توفي السلطان سنة (676هـ – 1266م) ليشغله من بعده نفر من أسرته الى ما بعد القرن السابع كجمال الدين يوسف الزواوي (683هـ –1285م) أما جمال الدين بن لحمد الشرشي فقد امتنع عن قبول منصب القضاء بدمشق ، و إختار ان يتفرغ الى التدريس و الموعظة ، واستمر المنصب شاغرا لأجله الى ان توفي سنة (685هـ –1286م)[2].

رابعا : المدارس المغاربية :

ان المغاربة المتواجدون في بلاد الشام و مصر امتهنوا التدريس في المدارس ، فكانت هاته المدارس مغاربية، نذكر منها المدارس المالكية الأربع[3] ، اثنتان منها انشئت في القرن السادس ، أحداهما هي الزاوية المالكية[4] في الجنب الغربي من الجامع الأموي قري المقصورة الحنفية ، والمدرسة الأخرى هي " النورية " المنسوبة الى نور الدين زنكي ، و يقال لها ايضا الصلاحية نسبة الى صلاح الدين الأيوبي . تقع المدرسة النورية في حارة حجر الذهب ،في منتصف الطريق بين

1–ابي شامة ، تراجم الرجال ، مصدر سابق ، 235 –236

2–الصفدي ، مصدر سابق ، ص 131 –132

3–ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 199

4–نفس المصدر ، ص 191

القلعة و المسجد الأموي . وقد أصبحت هي و الزاوية المالكية تابعتين لأسرة الزواوي المغربية[1] ، التي كان منها أوائل قضاة القضاة المالكية في المدينة ، اما المدرستان الأخريات ، انشئتا في النصف الثاني من القرن السابع ، و هما المدرسة الشرابيشية داخل باب الجابية ، الى الغرب من المدينة القديمة ، و واقفها علي بن محاسن الشرابيشي المغربي[2] .

و المدرسة الصمصامية ، بين القلعة و الجامع الأموي ، و واقفها غبريال الأسمري او الأسلمي [3]، و يضاف الى المدارس المالكية الأربعة ، تربة أم صلاح نجم الدين أيوب ، حيث دفن أول قاضب قضاة المالكية في المدينة ، و كذلك الرباط الناصري في سفح قاسيون ، قرب تربة التكريتي بني الرباط المذكور الذي اختص بالمتصوف المغربي محي الدين بن عربي الناصر يوسف أخر ملك أيوبي بدمشق [4]، و الى جانب هاته المدارس هناك مسجد مدرسة الكلاسة شمال الجامع الأموي .

المدرسة الأفضلية : و تعرف قديما بالقبة بحارة المغاربة ، أنشاها الملك الأفضل علي بن صالح الدين يوسف ونسبت اليه ، فعرفت باسم " الأفضلية " و قد أوقف الملك الأفضل مدرسته على الفقهاء المالكية الموجودين في بيت المقدس سواء كانوا من أهلها او من الوافدين عليها و أكثرهم من أهل المغرب ، و قد قامت بدور مهم في تنشيط الحركة العلمية ببيت المقدس [5].

5–ابو شامة ، مصدر سابق ، ص170–171

1– ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 184

2– ابن جبير ، مصدر سابق ، ص 200

3– ابو شامة ، مصدر سابق ، ص 170

4–نفس المصدر ، ص 145

المبحث الثالث : أوقاف الشيخ أبي مدين الغوث في القدس :

أولا : نبذة عن حياة الشيخ ابي مدين الغوث

هو ابو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري و المعروف باسم سيدي بومدين أو ابو مدين التلمساني و يلقب بشيخ الشيوخ و لقبه ابن عربي بمعلم المعلمين[1] (509هـ1126م) في قطنيانة (594هـ-1126م) فقيه و متصوف و شاعر أندلسي ،يعد مؤسس احد أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب و الأندلس تعلم في أشبيليه و فاس و قضى أغلب حياته في بجاية و كثر أتباعه هناك و اشتهر أمره .

و لأبي مدين شعيب مؤلفات كثيرة في التصوف و ديوان الشعر الصوفي و كذلك تصانيف من بينها "أنس الوحيد و نزهة المريد ".

ولد في 1126م لعائلة من اصل عربي في قطيانة ، بالقرب من أشبيليه ، و نشأ على تعلم القرآن و هو مشتغل يرعى الغنم لأهله ، و ازداد اهتمامه بالقرآن الكريم فعزم على حفظه[2] ، فقرر الارتحال الى بلاد المغرب ، وهو في رحلة لطلب العلم جال مدن سبتة و طنجة بالشمال[3] ، و اشتغل مع الصيادين ثم انتقل الى مراكش بالجنوب و انخرط في سلك الجندية و فيها نصحه أحدهم بالتوجه لفاس" سرت إليها و لازمت جامعها و رغبت في من علمني أحكام الوضوء و الصلاة ثم سألت عن مجالس العلماء فسرت إليها مجلسا بعد مجلس" [4] .

سافر ابو مدين الى فاس و هناك أخذ عن شيوخ و لازمهم و مال عن الآخرين و ممن لازم و آخذ عنهم ، الشيخ ابو يعزى بلنور (توفي 572هـ)والشيخ علي بن حرزهم (توفي 559هـ)

1- عبد الله تليدي ،المطرب بمشاهير اولياء المغرب ، دار الامانة للنشر و التوزيع ، الرباط ، الطبعة الرابعة ،2003 ،ص 64

2-ديوان ابي مدين شعيب الغوث ، تحقيق عبد القادر سعود و سليمان القرشي ،كتاب ناشرون ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ص 5

3-عبد الحليم محمود ، ابومدين الغوث ، دار المعارف ، دون طبعة ،ص 24

4-عبدالقادر سعود و سليمان القرشي ، مرجع سابق ،ص 25

الذي قرأ عليه الرعاية للمحاسبي و الشيخ ابو الحسن بن غالب ،أخذ عنه كتاب السنن للترمذي و الشيخ ابو عبدالله التقاق و أخذ عنه التصوف [1].

ثانيا :الحج إلى المشرق

قرر الشيخ ابو مدين الذهاب إلى الحج و في رحلته إلى المشرق أخذ عن العلماء و التقى بالزهاد و الأولياء و كان من أشهر ما حدث له في هذه الزيارة لقاؤه بالشيخ عبد القادر الجيلاني[2] ،فقرأ عليه في الحرم و ألبسه خرقة صوفية بعد زيارته المباركة للمشرق ، رجع إلى إفريقية و استوطن في شرق الجزائر في مدينة بجاية حيث عاش هناك أغلب فترات حياته ، هناك ظهر فضل الشيخ و كثر أتباعه و شاع اسمه و أقام بمسجد للتدريس ، و شرع في نشر طريقته بين الناس و كان يقول " طريقنا هذه اخذناها عن ابي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه و سلم عن جبرائيل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله "[3].

في بلدة بجاية أنجب ولده مدين هناك فعرف بابي مدين و ظل يمارس الوعظ و الإرشاد في جامع البلدة و مدرستها حتى بلغ الثمانين من عمره و عرف في كل بلاد المغرب الاسلامي[4] .

ثالثا مسيرته الصوفية :

و من أقوال الشيخ ابى مدين المأثورة : ليس للقلب الا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها و كان يقول الغيرة أن تعرف ولا تعرف و أغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه و أفقر الفقراء من ستر الحق حقه عنه[1] .

1–عبد الحليم محمود ، مرجع سابق ، ص ص 32–38

2–عبد الله التليدي، مصدر سابق ،ص 66

3– عبدالقادر سعود و سليمان القرشي ، مرجع سابق ،ص 47

4– عبد الله التليدي، مصدر سابق ،ص 80

5–عبد الرؤف مناوي ، الكواكب الذرية في تراجع السادة الصوفية ، تحقيق احمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الاولى ،2008 ،ص 47

عرف عبر التاريخ الإسلامي و في كتب التراث و التاريخ الإسلامي ،ككتاب ابن قنفذ و دائرة المعارف الإسلامية ، و شذرات الذهب للإمام الشعراني وفي كتاب الإلمام الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ ابو مدين الغوث و في العديد من المراجع الإسلامية ، و يقال أنه خرج على يده ألف تلميذ و جميعهم من العلماء ولذلك يقال له شيخ مشايخ الإسلام [2]، و إمام العباد و الزهاد ، و قد كان له الفضل في نشر الإسلام في بلدان غرب إفريقيا والطريقة المدينية انبثقت عنها الطريقة الشاذلية و العديد من المذاهب الصوفية [3]، وقد ذكر المستشرق سبنسر تريمنجهام في كتابه الطرق الصوفية في الإسلام ، أن طريقة ابي مدين استمرت خلال تلميذه عبد السلام بن مشيش المتوفي عام 625هـ – 1228م[4] والشيخ عبد السلام بن مشيش من أعظم تلاميذه البارزين هو ابو الحسن الشاذلي الذي أسس الطريقة الشاذلية ، التي إنتشرت في شمال إفريقيا و المغرب الإسلامي إلى مصر ، كما أن لها أتباع في الشام و البلاد الإسلامية كافة ، لذلك فإن الشيخ ابو مدين الغوث شعيب ابن الحسين يعتبر قطب الأقطاب.

ومن أهم قصائد شيخ الشيوخ ابى مدين الغوث ،شاعر الصوف قصيدة أهل المحبة التي سندرج بعض الأبيات منها :

أهل المحبة بالمحبوب قد شغلوا

و في محبتـــــــه أرواحهم بذلـــــــوا

وخلابوا كل ما يفنى و قد عمرا

و ما كان يبقى فيا حسن الذي عملوا

1–عبد الرؤوف المناوي ، مصدر سابق ، ص 50

2–يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات ، التشوف الى رجال التصوف و اخبار ابي العباس السبتي ، تحقيق احمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية الطبعة الاولى ص 259

3– ابو العباس احمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ، 1969 ص 234

لم تلهمهم زينة الدنيا و زخرفها

ولا جنـــــاها ولا حـــلـــــي و لاحلــل

رابعا :شيوخه و تلاميذه

أ) شيوخه :

- ابو يعزى 572 هـ-1176م : المدفون في قرية تاغية بجبل أرخان في مكناس ، وقد أقام مدرسة خاصة بهذه الجهة وكان يأتون إليه من جميع أنحاء الأندلس [1].
- ابى الحسن بن حرزهم : 696هـ-1199م الذي لازمه و أخذ عنه الرعاية للمحاسبة .
- ابو عبد الله الدقاق :من كبار أهل التصوف و قد أخذ ابى مدين الطريقة على يديه [2].
- ابو الحسن السلاوي : الذي أخذ عنه التصوف أيضا .
- ابو الحسن ابن الصباغ الذي أخذ عنه العلوم الشرعية .
- شيخ عبد القادر الجيلي :الذي قرأ عليه في الحرم الشريف كثيرا من الحديث و ألبسه خرقة التصوف و أودعه كثيرا من اسراره ، و من ذلك كان ابى مدين يفتخر بصحبته و يعد أهم مشايخه الأكابر [3].

ب)تلامذته :

كان لأبى مدين ألف تلميذ حسب رواية ابي عبد الله محمد ابن ابراهيم الأنصاري و على يد كل واحد منهم كرامة و أكد ابن زياد أن الذين استفادوا من ابي مدين كانوا أكثر من ألف تلميذ ، و ذكره ابن عربي في روح القدس و من أشهر تلاميذه الذين سنذكر بعض منهم :

- عبد الرحيم قناوي 592و هو من أصحاب ابي مدين و من تلامذته أيضا ابن العربي يقول بأنه اجتمع به حيث قال ابى مدين عن هذا كما ورد في روح القدس على لسان ابي عمران

1-ابن الزيات ، مصدر سابق ، ص 230

2-احمد التادلي الصومعي ، المعزى في مناقب ابي يعزى ، تحقيق علي الجاوي ، دار المعارف الجديدة الرباط 1996 ، ص 277

3-ابن الزيات ، مصدر سابق ، ص 322

السيد الذي جاء حاملا رسالة من ابي مدين لإبن العربي "أما الإجتماع فقد صح بيني و بينك و ثبت ، وأما الاجتماع بالأجسام في هذه الدار فقد ابى الله ذلك فسكن خاطرك ، والموعد بيني و بينك عند الله في مستقر رحمته .

- ❖ محمد ابن إبراهيم الأنصاري من كبار تلاميذ ابي مدين و أكثر عنه الرواية[1] و كان يحضر مجالس ابي مدين ببجاية [2].
- ❖ ابو الحسن الششتري تتلمذ على يديه ببجاية و كان يحضر حلقات المدينية ، و نسبت بعض موشحات ابي مدين إليه لشدة تأثره .
- ❖ ابو الصبر السبتي : الذي أستشهد في معركة العقاب سنة 609 هـ ترجمة له ابن الزيات من كبار مشايخ عصره [3].

خامسا :تأثيره و مؤلفاته

يعد الشيخ شعيب الرجل الثاني[4] بعد عبد القادر الجيلاني في تسلسل أخذ الطريقة الشاذلية لابي الحسين الشاذلي الذي أخذ عن الشيخ عبد السلام بن مشيش عن ابي مدين شعيب عن عبد القادر الجيلاني ، و التي آلت لسيدي لأبي العباس المرسي ، و يعد الجد الأكبر لآل مدين ، اللأسرة الصوفية بمصر ولقبه ابو مدين التلمساني نسية إلى إبنه مدين الأول وتلمسان التي توفي بها .

ومن تأثروا به في حضر موت الفقيه محمد بن علي باعلوي مؤسس طريقة آل باعلوي الصوفية و من أبرز مؤلفاته : بداية المريدين – انس الوحيد – تحفة الاريب – ديوان شعره .

1–محي الدين ابن عربي ، الفتوحات المكية ، تحقيق د عثمان يحي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،1985،ص 218

2–ديوان ابي حسن الششتري ، تحقيق علي سامي ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، الطبعة الاولى ،1960،ص8

3–لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق بوزياني الدراجي ، دار الامل للدراسات ، الطبعة الاولى ، 2009، ص 191

4–عبد الحليم محمود ، مرجع سابق ، ص 60

سادسا :أوقاف ابي مدين الغوث في القدس :

قام الملك الأفضل بن صلاح الدين و تقديرا للمغاربة الذين تطوعوا في جيش نور الدين محمود إستكملوا العهد مع صلاح الدين و خاضوا معه موقعة التحرير ،مع شيخهم ابومدين الغوث الذي نفذ كل ما قاله شيخه عبد القادر الجيلاني بضرورة مساندة في استعادة القدس[1] ، حيث قام بوقف الأراضي الواقعة قرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم القدسي على المغاربة فسمي الحي منذ ذلك الحين بإسم حارة او حي المغاربة ، وكان يضم بالإضافة إلى المنازل عديدا من المرافق ، أهمها المدرسة الأفضلية [2]التي بناها الملك الأفضل و حملت إسمه ، وعمل الكثير من المغاربة بعد ذلك على صيانة ها الوقف و تنميته ، باقتناء العقارات المجاورة له و حسبنا صدقات جارية ، و كان على رأسهم شيخهم و إمامهم ابو مدين الغوث[3] .

فقبل وفاته بسنوات قليلة ، أوقف من ماله الخاص قرية "عين كارم "بكاملها ضواحي القدس الشريف ، وقرية "ايوان " التي تقع داخل المدينة العتيقة .

كما اوقف ابو مدين سكنا للواردين المغاربة و محلات و مرافق عمومية و جعل عائدات هذا الوقف خالصة لأهل هذ الحي و جعل شروطا واضحة لمن تكون له نظارة هذا الوقف و شروطا كذلك في طريقة التوزيع و المستفيدين و ما يرتبط بذلك و جاء في وثيقة الوقف "اوقفها بأموالها و مياهها و آبارها و سواقيها و سهلها و وعرها و مبانيها وقفا لله يصرف للسيلة من المغاربة المارين و المنقطعين للعلم و الجهاد المرابطين على وصية صلاح الدين الأيوبي "و قال في آخرها :"ومن بدل او غير فالله حسيبه ، ومن بدل او غير فلعنة الله عليه و الملائكة و الناس اجمعين ".

1–نفس المرجع ، ص 90

2–ابن جبير، مصدر سابق ، ص 131

3–عبد الحليم محمود ، مرجع سابق ، ص 108

و بقيت عين "كارم " أعظم أوقاف الإسلام ،وقف الإمام ابى مدين شعيب ، أكثر من ثمانية قرون صامدة و حامية لبيت المقدس من أضعف جهاته الجهة الغربية ، عند باب النبي صلى الله عليه و سلم ، حتى جاء و نسفها الإحتلال الصهيوني سنة 1948و احتلوها بالكامل و في 1967اصدر (موشي ديان)قرارا بهدم حي المغاربة .

المبحث الرابع : رباطات المغاربة في القدس

كانت أعداد المغاربة المتوافدين على بيت المقدس في تزايد مستمر ، خاصة في فترة الحروب الصليبية وذلك سواءا من أجل العلم او الحج او من أجل المشاركة في الدفاع عن بيت المقدس ضد العدوان الصليبي ، و كنتيجة لذك كانت لهم أوقاف كثيرة في القدس الشريف .

أولا : حارة المغاربة

يرجع تاريخ تأسيس حارة المغاربة الى العهد الأيوبي ، فعندما فتح الناصر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس ، و إستقرت أوضاع المسلمين ،قرر المغاربة العودة الى بلادهم فكان أن تمسك بهم صلاح الدين الأيوبي ، و ألح عليهم ان يستوطنوا و اختار لهم أفضل مكان في القدس و بنى لهم بنايات بحجم مدينة صغيرة ليستقروا فيها[1] . استفسره رعيته عن رغبته و اهتمامه بالمغاربة و تمسكه بهم و إلحاحه على بقائهم ، في حين أنه سمح للشاميين و العراقيين و المصريين بالرجوع الى أوطانهم ، فأجابهم بمقولته المعروفة " أسكنت هناك قوما يثبون في البر و يفتكون في البحر أسكنت من إستأمنتهم على بيت الله أسكنت المغاربة " وقد عرفت حارة المغاربة بإسمها بعد ان أوقفها الملك الأفضل نور الدين ابو الحسن علي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي لطائفة المغاربة المقيمين في القدس أبان سلطنته على دمشق (589هـ/592هـ) حيث كانت القدس تابعة له بغية تشجيع أهل المغرب الإسلامي على القدوم الى القدس والإقامة فيها .

ثانيا :حدود حارة المغاربة

حارة المغاربة تنخفض عن مستوى أرض مساحات مسجد الأقصى المبارك و يحد حارة المغاربة من جهة الجنوب سور القدس و باب المغاربة ، و من الشرق الزاوية الفخرية ، و يليها المسجد الأقصى ، و من جهة الشمال والمدرسة التنكزية و قنطرة ام البنات ، و من جهة الغرب حارة الشرف و كان يمكن الوصول إليها عبر زقاق يفصل بين زاوية المغاربة و تربة الأمير بركة خان

1–عبد الهادي التازي ، حي المغاربة بالقدس ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، المجلد الاول العدد الثالث عشر ، 1972

المعروفة كذلك " بالمكتبة الخالدية[1] " و يفيد كتاب وقف الملك الافضل لحارة المغاربة أن حدها الجنوبي هو سور القدس، و يليه الطريق السالك الى عين سلوان . و حدها الشرقي هو حائط الحرم القدسي الشريف المعروف بحائط البراق و من الشمال القنطرة المعروفة ب " قنطرة ام البنات " ، و من الغرب دار الإمام ابن شمس الدين قاضي القدس ، و دار الأمير عماد الدين بن موسكي ، و دار الأمير حسام الدين قايماز.

جاء دخول النبي محمد صلى الله عليه وسلم مدينة القدس من بابها اليماني ، كما ورد في روايات تاريخية (أصبح موضعه يعرف بباب المغاربة) تأكيدا منه على المكانة التي تميز هذا الموضع القريب جدا من الحائط الذي ربط فيه براقة الشريف .

و سيكون النبي صلى الله عليه وسلم ، قد سلك في هذه الحالة طريقه اتجاه المسجد الأقصى عبر الموضع الذي أخذ يعرف بعد تحرير بيت المقدس سنة 583هـ باسم " باب الحارة " التي بارك الله عز وجل موضعها الكائن حول المسجد الأقصى المبارك .

ثالثا: أوقاف المغاربة الرسمية و الأهلية

حظي الجوار المغاربي للحرم المقدسي بعناية رسمية وأهلية على مستوى الوقف ، و نصت وثائق الوقف على أن المغاربة عابرين و مقيمين هم المعنيون بالعقارات الموقوفة ، فوثيقة ابي مدين شعيب المحررة سنة 770هـ على سبيل المثال تنص على ان "كلا من قرية عين كارم و الأيوان حبس على المغاربة المقيمين بالقدس الشريف او القادمين اليه "[2].

شكل الوقف مجالا بارزا سجل فيه المغاربة عطاءهم بالقدس ، و يمكن التمييز في هذا الإطار بين نوعين من الأوقاف و هما :

1–عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي ، ج 7 ، مرجع سابق ، ص 208 [1]

2– وثيقة وقف ابي مدين عن : اوقاف المغاربة في القدس ، عبد الهادي التازي ، ص 48

أ) أوقاف رسمية :

إنفرد بنو مرين من بين الدول المغربية بالاهتمام بمجال الوقف في القدس الشريف ، و تمثلت الأوقاف المرينية هناك فيما يلي :

- ❖ رصد غلاف مالي لإقتناء عقارات : حيث خصص السلطان ابو الحسن علي ابن عثمان [1]، ستة عشر الفا و خمسمائة دينار ذهبي لشراء الرباع بالقدس و الحرمين الشريفين سنة 738هـ[2] .
- ❖ وقف المصحف المدعو بالربعة المغربية : فام السلطان ابو الحسن سنة 745هـ بإنتساخ هذا المصحف بيده و جمع الوراقين لتنميقه و تذهيبه ، كما أحضر القراء لضبطه و تذهيبه[3] .

و الى جانب الأوقاف المغربية الرسمية عرفت القدس أوقافا مغربية على المستوى الأهلي .

ب) أوقاف اهلية :

- ❖ وقف ابي مدين شعيب : حررت هذه الوقفية سنة 720هـ [4]
- ❖ وقف المجاهد السيد عمر المصمودي ، حررت هذه الوقفية سنة 730هـ.

و تذهب وثائق وقف أخرى ابعد من ذلك ، حيث تؤكد على المساواة بين المغاربة في الإستفادة من العقارات الموقوفة ، فالحارة التي أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين سنة 589هـ على المغاربة تنص وثيقتها على ان الحارة موقوفة "على جميع طائفة المغاربة على اختلاف اوصافهم و تباين حرفهم و، ذكورهم و إناثهم ، كبيرهم و صغيرهم ، فاضلهم و مفضولهم [5]"

1–السلطان ابو الحسن : هو السلطان المغربي ابو الحسن علي ابن عثمان ابن يعقوب المريني ، (697هـ) عقدت له البيعة بعد وفاة ابيه سنة 731 هـ حكم لمدة 20 سنة

2–عبد الهادي التازي ،اوقاف المغاربة في القدس ، مرجع سابق ، ص 21

3– نفس المرجع ، ص 21

4– نفس المرجع ، 22

5–وقفية حي المغاربة بالقدس ، عن اوقاف المغاربة في القدس ، ص 40

و لحفظ أوقاف المغاربة و حمايتها من المصادرة ، او مما يبطل استمراريتها نصت وثيقة عمر مصمودي[1] المحررة سنة 730هـ/ 1330م على ان وقفها " لايرهن ولا يوهب ولا يسلب ولا يحل لمؤمن بالله ان يبطل هذا الوقف "[2].

وهكذا فإن الوثائق الوقفية حرصت على حماية حقوق المغاربة بالقدس الشريف ، بتنصيصها على أن المغاربة هم الجالية المستهدفة من الإنتفاع بتلك الأوقاف ، و بتأكيدها على مبدأ المساواة بين المغاربة في الإستفادة من تلك الأوقاف ، وكذا حمايتها لتلك الأوقاف من أي بطلان يحول دون استمراريتها. و قد شكلت هذه الاوقاف مظهرا آخرا من مظاهر الوجود المغربي بالقدس .

و مقابل العطاء المغاربي في مجال الوقف بالقدس ، إستفاد المغاربة من أوقاف مشرقية رسمية و يتعلق الأمر بوقف الملك الأفضل نور الدين .

ولئن تباين طبيعة هذه الأوقاف و هويتها ، ما بين المغربية و المشرقية ، الرسمية والأهلية ، فإنها تصب كلها في خدمة المغاربة عابرين و مقيمين ويمكن الوقوف على تلك الاوقاف من خلال الملحق رقم 05ص 93.

1– انظر الملحق رقم 4 ص 92

2–وثيقة وقف المصمودي ، عن اوقاف المغاربة في القدس ، ص 47

خـــاتـمـــة

لطالما كان تاريخ المغاربة في المشرق (مصر و الشام) يكتنفه الغموض و ندرة التطرق لمثل هذا النوع من المواضيع الذي إشتمل على مقتطفات هنا و هناك فقط و نظرا لأهمية هذا الموضوع قررنا أن نقوم بدراسة دور المغاربة في المشرق (مصر و الشام)أثناء الحوب الصليبية و هذا نتيجة لما أصبح عليه الموضوع من أبعاد سياسية خاصة بعد تخريب حارة المغاربة من قبل العدو الصهيوني أثناء إحتلاله لمدينة القدس سنة 1997م.

و في ختام هذه الدراسة لخصنا أهم العناصر المدرجة على شكل نقاط كالتالي :

تواجد المغاربة في بلاد الشام و مصر و هذا كنتيجة أما للحج او الرحالات العلمية ، و الجهاد من أجل تحرير بيت المقدس و أيضا لأسباب سياسية و اقتصادية و اجتماعية

توطن المغاربة في بلاد الشام و مصر و مشاركتهم مع إخوانهم المشارقة في الحياة العلمية و كذا الاقتصادية

أهمية العنصر المغربي العسكرية حيث أصبحوا مطلوبين من قبل السلاطين و الحكام و قادة الجيش سواءا بحري او بري

التعريف بالحروب الصليبية لو أسبابها و ظروفها و كذلك نتائجها فلطالما إعتبرت هاته الحروب فصلا حاسما في التاريخ الإسلامي و كذا الأوروبي في العصر الوسيط

المشاركة العسكرية للمغاربة في الحروب الصليبية كجنود رسميين او كمرافقين لهم ، بالإضافة الى تقديمهم للأموال و كذا لصناعتهم بعض الأسلحة ، و مشاركتهم في عدة معارك و لعل من أبرزها معركة حطين و تحرير بيت المقدس

و قد كان للأسرى المغاربة شان كبير لدى الحكام و أغنياء الأهالي المشارقة ، فقد عمل بعض الحكام مثل نور الدين زنكي و كذا صلاح الدين الأيوبي على إفتكاك الأسرى المغاربة دون سواهم ، أما بالنسبة للأهالي فكان هناك من يقدم الأموال فداء لهم

و تميز المغاربة دون غيرهم بالجهاد البحري و هذا نتيجة لصراعهم الدائم مع الصليبيين على حدود بلادهم ، فتبوا المغاربة مناصب عليا في الأسطول البحري المصري نذكر منهم : عبد السلام المغربي و الريس ابراهيم التازي

ومن العلاقات السياسية التي جمعت الأيوبيين بالموحدين تلك السفارة التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي الى السلطان يعقوب المنصور الموحدي ، المتمثلة في طلب النجدة أثناء حصاره عكا سنة 587هـ ى، و لكن هذا الأخير لم يلبي حاجة صلاح لدين

دور المغاربة الحضاري في المشرق (مصر و الشام) في فترة الحروب الصليبية المتمثل في الرحلات العلمية و العلماء المغاربة الذين ساهموا في الجانب الحضاري حيث درسوا في مدارس مغربية ونشروا فكرهم وعلمهم الوافر للطبة المشارقة او المغاربة الفاطميين هناك .

فمن الرحلات العلمية المهمة رحلة ابن جبير ، و كذا رحلة الادريسي ، و رحلة ابن سعيد المغربي ، فهؤلاء عاصروا و أرخوا لتلك الفترة المتمثلة في الحروب الصليبية ، و ايضا ساهمت رحلاتهم في استقطاب الكثير من المغاربة لأرض الشام و مصر .

عمل الكثير من الفقهاء المالكية كقضاة في المشرق حيث كانت أمور المغاربة ترجع اليهم و هم أولى في تسيير شؤونهم

و خصصنا مبحثا للعالم ابي مدين الغوث هذا العالم الجليل الذي شارك في معركة تحرير بيت المقدس ، و كان له الشرف ان فقد إحدى ذراعيه فيها ، و هذا بالإضافة الى أوقافه التي أوقفها في القدس للمغاربة المقيمين او عابري السبيل

و نظرا لما كان يشكله المغاربة من و جود لابأس به من ناحية العدد كانت لهم أوقاف في القدس مثل حارة المغاربة وقف الملك الأفضل ضف الى ذلك أوقاف اخرى سواء رسمية او أهلية .

وفي الختام نرجو أن نكون قد أوفينا هذا الموضوع حقه لأنه أوسع من هاته الصفحات .

الملاحق

الملحق الاول

خريطة الإمارات الصليبية ومملكة صلاح الدين الأيوبي بعد الحروب الصليبية الثالثة.

الحروب الصليبية - خريطة عدد (5)

محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية ، ص 98

محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية ، ص 98

الملحق الثاني

رسالة القاضي الفاضل الى ابن المنقذ

بسم الله الرحمن الرحيم، الأمير الأجَلّ، الإسفهسلار[1] الأصيل، العالم المحترم، شمس الدّين، عُدّة الإسلام، جمال الأنام، تاج الدولة، أمين الملّة، صفوة الملوك والسّلاطين، شرف الأمراء، مقدّم الخواص، أدام الله توفيقه، ويَسّر طريقه، وأنجح مَقْصِدَه، وأعذب مَوْرِدَه، وحَرَسَ مغيبه ومشهده، وأسعد يومَه وغَدَه.

تستخير الله سبحانه، وتتوجّه كيفما يَسّر الله إلى الجهة الإسلامية المغربية، حَرَسَ الله جانبها، ونَصَرَ كتائبها ومراكبها. وتستقري في الطّريق وفي البلاد من أخبار القوم في أحوالهم وآدابهم وأخلاقهم وأفعالهم، وما يحبُّونه من القول نَزْرَه أو جَمّه، ومن اللّقاء متبسطه أو منقبضه، ومن القعود بمجالسهم مُخَفَّفه أو مُطَوَّله، ومن التحيات المتهاداة بينهم ما صيغته وما موقعه، وهل هي السُّنَن الدّينية أو العوائد الملوكية؟

ولا تلقه إلا بما يحبه، ولا تخاطبه إلا بما يُسِرُّه، والكتاب قد نُفِّذ إليه ولم يُخْتم لتعلم ما خوطب به.

والمقصود أن تقصّ القِصَصَ عليه من أول وصولنا إلى مِصْر، وما أزّلنا من البِدَع بها، وغَطَّلْنا من الإلحاد فيها، ووضعنا من المظالم عنها، وإقامة الجمعة، وعقد الجماعة فيها، وغزواتنا التي تواصلت إلى بلاد الكفر من مصر، فكانت مقدمة لملك الشّام الإسلامي باجتماع الكلمة علينا، ومقدمة لملك الشّام الفرنجي بانقياد المسلمين لنا، وإصفاق الملوك المجاورين على طاعتنا[2].

وتُفَصِّل ما جرى لنا مع الفرنج من الغَزَوات المتقدّمة التي جُسْنا فيها خلال ديارهم، وجعلها الله تعالى مقدّمات لما سبق في علمه من أسباب دمارهم، وما أعقبها من كسرتنا لهم الكسرة الكُبْرى، وفتح البيت المقدّس، وتلك على الإسلام مِنّة الله العُظْمى، إلى غير ذلك من أَخْذِ الثّغور، وافتتاح البلاد، وإثخان القَتْل فيهم والأسر لهم، واستنجاد بقيّتهم لفرنج المغرب، وخروج نجداتهم وكثرتها وقُوّتها،

---

[1] ابي شامة ،كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ،ص 112

ومَنَعَتها وغِناها وَثَرْوتها، ومُسارعتها ومبادرتها، وأنه لا يمضي يومٌ إلا عن قُوَّة تتجدَّد، ومِيرَةٍ تَصِل، وأموالٍ واسعة تخرج، ومعوناتٍ كثيرة تُحمل.

وأنَّ ثغرنا خَصَرَه العدو، وخَصَرْنا نحن العدوَّ، فما تمكَّن من قتال الثَّغر، ولا تمكَّن من قتالنا، وخَنْدَقَ على نفسه عِدَّة خنادق، فما تمكَّنَّا من قتاله، وقدَّم إلى الثَّغر أبرجةً أحرقها أهلُه، وخرج مرَّتين إلى عسكرنا فكسرَ العدوُّ الكثيرَ أَقَلَّهُ، فإنه اغتنم أوقاتاً لم تكنِ العساكرُ فيها مجموعة، وارتاد ساعاتٍ لم تكنِ الأهبُ فيها مأخوذة، وأقدم على غِرَّةٍ استيقظت فيها نُصْرَةُ الله لنا وخِذْلانه لهم، فقتل الله العدوَّ القَتْلَ الذَّريع، وأوقع به الفَتْك الشَّنيع، وأجلت إحدى الحركتين عن عشرين ألف قتيل من الكُفَّار، خَرَجَتْ أنفسُها إلى مصارعها، ومَمَدَتْ أجسامها في مضاجعها.

والعدوُّ وإن خصَرَ الثَّغرَ فإنَّه محصور، ولو أَبْرَزَ صَفْحَتَهُ لكان بإذن الله هو المثبور المكسور.

وتذكَّرْ ما دَخَلَ الثَّغرَ من أساطيلنا ثلاث مرَّات، واختراقها مراكبهم وهي الأكثر، ودخولها بالمِيرَة بحكم السَّيف الأظهر، وأنَّ أمر العدوِّ مع ذلك قد تطاول، وخَطْبَهُ قد تمادى ونجدته تتواصل، ومنها ملك الألمان في جموع جماهيرها مُجَمْهَرَة، وأموالٍ قناطيرها مُقَنْطَرَة، وأنَّ عساكرنا لو أدركتْهُ لما استدرك، ولولا سَبْقُهُ لها بالدُّخول إلى أنطاكية لَتَلِفَ وهَلَك.

وتذكر أنَّ الله قَصَمَ طاغية الألمان، وأخذه أَخْذَةَ فِرْعَوْنِيَّة بالإغراق في نهر الدَّنيا الذي هو طريقه إلى الإحراق في نار الآخرة.

وأنَّ هذا العدو لو أرسل الله عليه أُسطولاً قوياً مستعدّاً، يقطع بحرَهُ ويمنع مُلْكَه، لأَخَذَنا العدوُّ بالجوع والحَصْر، أو بَرَزَ فأخذناه بيد الله تعالى التي بها النَّصْر، فإن كانتِ الأساطيل بالجانب المغربي مُيَسَّرَة، والعُدَّة منها متوفِّرة، والرِّجال في اللِّقاء فارهة، وللمسير غير كارهة، فالبِدَارَ البدار، وأنتَ أيها الأمير فيها أول من استخار الله وسار.

وإن كانت دون الأُسطول موانعُ إما من قِلَّة عُدَّة، وإما من شغل هناك بمهمَّة، أو بمباشرة عَدُوٍّ إما تُحَصَّن منه العورة أو قد لاحت منه الفُرْصة، فالمعونة ما طريقُها واحدة، ولا سبيلها مسدودة، ولا أنواعُها محصورة، تكون تارةً بالرِّجال، وتارةً بالمال.

وما رأينا أهلاً لخطابنا ولا كفواً لإنجادنا، ولا محقوقاً بدعوتنا، ولا ملبياً بنصرتنا إلا ذلك الجَناب، فلم نَدْعُه إلا لواجبٍ عليه، وإلى ما هو مستقلٌ به، ومطيقٌ له، فقد كانت تُتَوقَّع منه هِمَّة تَقِدُ في الغَرْب نارُها، ويستطير في الشَّرْق

سناها، وتُغرس في العدْوة القُصْوى شجرتها، فينال مَنْ في العُدْوة الدُّنيا جَناها، فلا ترضى هِمَّتُه أن يعين الكُفْرَ الكُفْرَ، ولا يعين الإسلامُ الإسلامَ، وما اخْتُصَّ بالاستعانة إلا لأنَّ العدو جارُه، والجارُ أقدرُ على الجار، وأهلُ الجَنَّةِ أَوْلَى بقتال أهل النَّار، ولأنه بحرٌ والنَّجْدة بحرية، ولا غَرْوَ أن تجيش البحار.

وإن سُئِلَ عن المملوكين يوزبا وقَرَاقُوش، وَذُكِرَ ما فعلا في أطراف المغرب بمن معهما من نُقَباء الرِّجال الذين نفتهم مقاماتُ القتال، فيعلمهم أنَّ المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والأمراء، ولا من المعدودين في الطَّواشية[1] والأولياء، وإنَّما تَسَدَّدَتْ سوقُهما، وتبعهما ألفافٌ أمثالهما، والعادة جاريةٌ أنَّ العساكر إذا طالت ذيولها، وكَثُرَتْ جموعُها، خَرَجَ منها، وانضاف إليها، فلا يظهر مزيدُها ولا نَقْصُها.

ولا كان هذان المملوكان ممن إذا غابَ أحضر، ولا ممن إذا فُقِدَ افْتُقِدَ، ولا يُقَدَّرُ في مثلهما أنه ممن يستطيع نكايةً، ولا يأتي بما يُوجب شكوًى من جناية. ومعاذ الله أن نأمر مفسداً بأن يُفسد في الأرض ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

إن سُئِلَ عن النَّوْبة المِصْرية وما فُعِلَ بجندها، فليعلمهم الأمير أن القوم راسلوا الكُفَّار، وأطمعوهم في تسليم الدِّيار، فأشْفَى الإسلام على أمرٍ شديد، وكاد يقربُ على الكُفْر أمرٌ بعيد، فلم يُعاقِبِ الجيشُ، بل أعيان المفسدين، فقوبلوا بما يجب، وكانوا دُعاةَ كُفْرٍ وضلال، ومحاربين لله بما سَعَوْا في الأرض من فساد، فأما بقية الجيش وإنْ كان بينهم مَنْ هو تَبَعٌ للمذكورين في الرِّضا، فإنهم اقْتُصِرَ بهم على أن لا يكونوا جُنْداً، ومنهم من أجريت عليه أرزاق تبلِّغه، وشَمِلَتْهُ أَمَنَةٌ تسكنه.

وأما الهدية المَسْئُولة على يد الأمير فتفصيلها يَرِدُ في كتاب الأمير الأجل الإسفهسلار، العالم الكبير، مجد الدين سيف الدولة ـ أدام الله عُلُوَّه ـ مقروناً بالهدية المذكورة، ومع قُرْب الشِّتاء فلم يبق إلا الاستخارة والتَّسْمية، ومبادرة الوقت قبل أن يُغْلِقَ البحرَ انفتاحُ الأشْتية، والله سبحانه يوفِّق الأمير، ويسهِّلُ سبيله، ويهدي دليلَه، ويكلؤه بعينه، ويمدُّه بعونه، ويحمل رَحْلَه، ويبلِّغه أهلَه، ويشرح له صَدْرَهُ، وييسِّر له أمره، إنْ شاء الله تعالى، وكتب في ثامن وعشرين شعبان سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة.

الملحق الثالث

رسالة صلاح الدين الأيوبي الى سلطان يعقوب المنصور الموحدي

[في نُسْخَةِ الكتاب إلى ملك المغرب والهَدِيّة]

العُنْوان: يلاغ إلى مَحَلّ التُّقْوى الطَّاهر، ومستقر حزب الله الظاهر، من المغرب أعلى الله به كلمة الإيمان، ورفع به مَنار البِرّ والإحسان.

بسم الله الرَّحمن الرحيم، الفقيرُ إلى رحمة رَبِّه يوسف بن أيوب، أما بعد: فالحمدُ لله الماضي المَشِيّة، المُمْضي القضيّة، البَرّ بالبَرِيّة، الحَفِيّ، بالحنيفية، الذي استعمل عليها من استعمر به الأرض، وأغنى من أهلها من سأله القَرْض، وأجْزَلَ أجْرَ من أجرى على يده النّافلة والفَرْض، وزانَ سماء المِلّة بدراري الذراري التي بعضُها من بعض.

وصَلّى اللّهُ على سَيِّدنا محمد الذي أنزلَ عليه كتاباً فيه الشّفاء والتِّبْيان، وبنى الإسلامَ بأمّته التي شبَّهها صاحِبُها بالبُنْيان، وعلى آله وصحبه الذين اصْطَفاهم وطَهَّرهم، ونصروه وظاهروا رسولَه ﷺ، فنصرهم وأظْهرهم، ويَسَّر بهم السَّبيل، ثم السبيل يَسَّرهم، وإنَّ الله بهم لذو فَضْلٍ على النّاس، ولكن أكثرهم[1]. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وهذه التحية الطَّيِّبة، الكريمة الصَّيِّبة، الواجبةُ الرَّدّ، الموجبة للقصد، العذبةُ الوِرْد، المتنفِّسة عن العنبر الوَرْد، وقّادةٌ على دار المُلْك، ومَدَارِ النُّسُك، وَجُلّ الجلالة، وأصلِ الأصالة، ورأس الرِّياسة، ونفس النفاسة، وحَكَم الحُكْم، وعَلَم العِلْم، وقائم الدين وقَيِّمه، ومُقَدِّم الإسلام ومقدّمه، ومقتضي دَيْن الدِّين، ومثبت المتقين على اليقين، ومُعْلي الموحِّدين على المُلْحدين، أدام الله له النُّصْرة، وجَهَّز به العُسْرة، وَرَدَّ له الكَرَّة، وبَسَطَ له باع القدْرة، وأوْثَقَ به حَبْلَ الأُلْفة، ومَهَّد له درجات الغُرفة، وغَرَّفه في كل ما يعتزمه صُنْعاً جزيلاً جميلاً، ولُطْفاً خفياً جليلاً، ويسَّر عليه في سبيله كل ما هو أشدُّ وَطْأً، وأقومُ قيلاً.

تحيةً استُنير منها الكتاب، واستطيب عنها الجواب، وحَفَزَ لها حافزان: أحدهما شَوْقٌ قديم كان مَطْلُ غريمه ممكناً إلى أن تَيَسَّر الأسباب، والآخر مَرَامٌ عظيمٌ ما تُرِكَ إذا

انشُفِيحَتْ به الأبواب، وكان وقتُ المواصلة، وموسم المكاتبة هناءةً بفتح البيت المُقدَّس، وسكونِ الإسلام منه إلى المَقِيل والمُعَرَّس، وما فَتَحَ اللَّهُ للإسلام من الثُّغور، وما شَرَحَ لأهله من الصُّدور، وما أنزله عليهم من النُّور، ولم يَخْلُ المسلمون فيه من دعوات أسرار ذلك الصَّدْر، ومُلاحظات أنوار ذلك البدر، ومطالعاتِ تلك الجهة التي هي وإن كانت غربيَّة فإنَّ الغَرْبَ مستودعُ الأنوار، وكنز ديناز الشمس، ومَنصَبُّ أنهارِ النَّهار، ومن جانبه يأتي سكونُ اللَّيل ومستروح الأسرار، وعنه ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤].

ولم تتأخر المكاتبة إلا ليتمَّ الله ما بدأ مِنْ فَضْله، وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطُّع يد الشِّرك من حبله، والمفتتح بيد الله من الشَّام مُدُنٌ وأمصار، وبلاد كبار وصغار، وثغورٌ وقلاع، كانت للشِّرْك معاقل، وللإسلام معاقر، ولبني الكُفْر مصانع، ولبني الإسلام مصارع، والباقي بيد الكفر منها ثغراً طرابُلُس وصور، ومدينة أنطاكية ـ يَسَّرَ الله أمرَها، وفكَّ من يد الكُفْر أسرَها ـ وإذا أَمَّن المُؤمن على هذه الدَّعْوة رَجي إيجابها، وما يتأخَّر من الله سبحانه جوابُها.

فالدُّعاء أحدُ السِّلاحين، ومع النيَّة يطير إلى وكره من السماء بجناحين، بعد أن كُسِرَ العدوُّ الكسرة التي لم يُجْبَرْ بعدها، وألجئ إلى حصونه التي للحَصْر أعَدَّها، وكان يومها كريماً، ولطفَ الله فيها عظيماً، قضت كلَّ حاجةٍ في النَّفس، وأغنتِ المسلمين. فأما العدو بعد يومها فكأنْ لم يَغْنَ بالأمس، وكانت على أثر غزواتٍ قبلها، فما الظَّنُّ بالمجهَّزة بعد الكَسْر.

ولم يُؤَخِّر فَتْحُ البلاد بعدها إلا أنَّ فَزِعَ الكُفَّار بالشَّام استصرخ بأَضِلِّ الكُفَّار من الغَرْب، فأجابوهم رجالاً وفُرْساناً، وشِيباً وشُبَّاناً، وزُرَّاقاتٍ ووحداناً، وبَرّاً وبحراً، ومركباً وظَهْراً، وركبوا إليهم سَهْلاً وَوَعْراً، وبذلوا ماعوناً وذُخراً، وما احتاجوا ملوكاً ترتادهم، ولا أرساناً تقتادهم، بل خَرَجَ كُلُّ يلبِّي دعوة بطركه، ولا يحتاج إلى عَزْمةِ مَلِكِه.

وخرجت لهم عِدَّةُ مُلوك أقفلت العَجْمةُ على أسمائها، وأتتِ العزمةُ ـ بحمد الله ـ على أشخاصها عند لقائها، ومنهم ملك الألمان خَرَجَ في جموعٍ بَرِّيَّة، مِنَ الله تعالى بَرِيَّة، ملأتِ الفِجَاجَ، وازدحمت فما تَفَلَّها العَجَاج، ومنهم من رَكِبَ ثَبَجَ البحر فركب الأجاج العَجَّاج، وامتطى من البحر مَتْنَه الرَّجَّاج، لينصر ديناً مُشْبِهَ الزُّجاج؛ يقبل الكسر ولا يسرع إليه الجَبْر، وراكبُ ذلك الدِّين كراكب البحر، بلا ساحل سلامة، وإلى قاع كفر.

وجلب الكُفَّارُ إلى المحصورين بالشَّام كلَّ مجلوب، وملؤوا عليهم ثَغْرتهم

من كلّ مطلوب؛ ما بين أقواتٍ وأطْعِمَة، وآلاتٍ وأسلحة، وشِبْكَةٍ وجُنَّة، وحديدٍ مضروب وزُبْرة[1]، ونقدَيْ ذَهَب وفِضَّة، إلى أن شَحَنوا بلادَهُمْ رجالاً مقاتلة، وذخائر للعاجلة من حَرْبهم والأجلة، لا تشرقُ شارِقَةٌ إلا طَلَعَتْ على العدو من البحر طالعة، تُعَوِّضُ من الرِّجال من قُتِلَ، وتخلُف مِنَ الزَّاد ما أُكِلَ، فهم كل يوم في حصولِ زيادة، ووفور مادّة، وقد هان عليهم موقع الحَصْر، وأعطاهم البحرُ ما منعهم البَرُّ، ونظروا لما كَثُرُوا، ونظروا في أنهم لا يستطيعون أن يلقَوْا أو يُضْحروا، ويستطيعون أن يُحْصِرُوا على أن ينحصروا.

ونزلوا على عكا بحيث يمدُّهم البحر بإمداده، ويصل إلى المقاتل ما يحتاجه من أسلحته وأزواده، وبمن تكثُر به من مقاتلته وأجناده، فانقطعت مادّةُ عكا من البحر، وحَصَرْنا منازلهم من العدوّ من جهة جانب البر، فحدقوا على نفوسهم، وحثوا التراب على رؤوسهم، وعقدت عِدَّتُهم مائة ألف أو يزيدون، كلما أفناهم القَتْل أخلفتهم النَّجدة، فكأنّهم بعد الممات يعودون.

فاهتممنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها، فنفذت عمارتُنا إلى الثَّغْر، وأوصلت إليه الأقوات التي حَمَلَ منها البحر ما لا يحمله الظَّهْر، والأسلحةَ التي أمضاها الله عَزَّ وَجَلَّ بيد الإسلام في صدور الكُفْر، وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عُدَّة، فَعَدَدُ مراكبهم كبير، ولكن بأصدق منها عَزْمة، والقليل مع العَزْمِ الصَّادق كثير.

واستمرّ مقام العدو محاصراً للثَّغْر، محصوراً منا أشَدَّ الحَصْر، لا يستطيع قتال الثَّغْر لأنّا من خَلْفه، ولا يستطيع الخروجَ إلينا خوفاً من خَنْقه، ولا نستطيع نحن الدُّخولَ إليه؛ لأنه قد سَوَّر وخَنْدَقَ، وحاجَزَ من وراء الحُجُرات وأغلق.

ولما خرج ملك الألمان بحشده وسُمْعَتِهِ التي هي منه أَحْشَد، وعاد جيشه الملعون على رَسْم قديم إلى الشّام، فكان العَوْدُ لأمّةِ أحمد ﷺ أَحْمَدَ، قَوِيَتْ فيه نفوسُهم، وجمحَتْ به رؤوسهم، وظَنُّوا أنه يُزْعجنا من مجثمنا، ويخرجنا من مخيّمنا، فبعثنا إليه من يلقاه بعساكرنا الشّمالية، فسلك ذاتَ الشّمال متوغّراً فيها، محتجزاً عن لقائها، مُظْهراً أنه صريعُ داءٍ وما به غير دائها.

وكان أبوه الطّاغية ملك الألمان ـ شَيْبَة اللَّعْن اللّعين، قائد جيشه إلى سِجِّين سِجِّين ـ قد هَلَكَ في طريقه غَرَقاً، وخاض الماءَ فخاضه الماءُ شَرَقاً، وبقي له ولد هو الآن المُقَدَّم المؤخَّر، وقائد الجمع المُكَسَّر، وربما وَصَّلهم إلى عكا في البحر

تهيُّأ أن يسلك البر، ولو سبق أصحابنا إلى عساكر الألمان قبل دخولها إلى أنطاكية لأخذوه أخْذاً سريعاً، وسبق ماءُ بحرِ سيوفهم إلى أن يكون الطَّاغية فيه لا في النَّهر صريعاً، ولكنْ لله المشيئةُ في البَرِيَّة، والطَّاغية إنما يمشي إلى البَلِيَّة، فإنه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق، واجتياز واصلهم بالمضائق، لكان لنا ولهم شان، وكان ليومنا في النُّصْرة الكُبْرَى بحول الله ثانٍ، لا يثنيه من العدو ثانٍ.

ولما كانت حضرة سُلْطان الإسلام، وقائد المجاهدين إلى دار السَّلام أَوْلَى مَنْ تَوجَّهَ إليه الإسلام بشكواه وَبَثِّه، واستعان به على حماية نَسْله وحَرْثِهِ، وكانت مساعيه ومساعي سَلَفِهِ في الجهاد الغُرّ المُحَجَّلة، المُؤَثِّرة المؤثِّلة، الكاسفة لكل مُعْضِلة، الكاشفة لكل مُشْكلة. الأخبار بذلك سائرة، والآثار ظاهرة، والصُّحف عنه باسمة، والسِّيَر به مُعْلَمة وعالمة، وكُلٌّ بجهاده قد سَكَنَ إلا السيوف في أغمادها، وقد أَمِنَ إلا كلمة الكُفْرِ في بلادها. لا يزال في سبيل الله غادياً ورائحاً، ومواجهاً ومكافحاً، ومماسياً ومصابحاً، يجوز لُجَّة البحر بالمجاهدين ملوكاً على الأَسِرَّة[1]، وغُزَاةً تصافح وجوهَها السيوفُ فلا تُخْمِدُ نورَ الأَسِرَّة[2]، يذود الفِرَقَ الكافرة، ولو تَرَكَ سبيلَها لملأ قراره كلَّ واد و﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] ولولاه لأخمدوا شَرَار كلِّ زناد.

كان المتوقَّع من تلك الدَّولة العالية، والعَزْمة الغادية، مع القُدْرَة الوافية، والهِمَّة المهدية الهادية، أن يُمِدَّ غُرَبَ الإسلام المسلمين بأكثر مما أَمَدَّ به غُرَبَ الكُفَّار الكافرين، فيملأها عليهم جواري كالأعلام، ومدناً في اللُّجَجِ سوائر، كأنَّها اللَّيالي مقلعةً بالأيام، تَطْلُعُ علينا مَعْشَرَ الإسلام آمالاً، وتَطْلُعُ على الكُفَّار آجالاً، وتَرِدُنا إما جُمْلَةً وإما أرسالاً، مسوَّمة تمدُّها ملائكة مسوِّمة ومُعْلَمة، تقدم حيازيمُها إقدام حَيْزُوم[3]، تحتُّ أصحابه الحَزْمَة، وإنما هي منه عَزْمَة، كانت تعين أصحاب الميمنة على أصحاب المَشْأَمة، وكلمة كانت تنفخ الرُّوح في الكلمة، ولما استَبْطَنت ظَنَّ أنها توقَّفت على الاستدعاء، فصرخنا به في هذه التحية، فقد تَحَفَّل السحابُ ولا تُمْطِرُ إلى أن تُحَرِّكها أيدي الرِّياح، وقد يُنْزِلُ اللَّهُ النُّصْرة فلا تظهر إلى أن تضرع إليها ألسنة الصِّفاح.

وسُيِّر لحضور مجلسه الأطهر، ومَحَلِّه الأنور، الأمير الأجَلُّ، المجاهد الأمين الأصيل، شمس الدين، ثقة الإسلام والمسلمين، سفير الملوك والسَّلاطين، أبو الحَزْم[1] عبد الرحمن بن مُنْقذ، كتب الله سلامته وأحسن صحابته، وما اختير للوفادة إلا مَنْ هو أهلُها، ولا حُمِّل الوديعة إلا مَنْ هو مَحَلُّها، ولا بُعِثَ لنهج الصِّلة إلا من هو بِفَتْاحُها، ولأداء الأمانة إلا من هو قُفْلها.

ومهما استوضح منه وسُئِلَ عنه فإنه على نَفْسه بصيرة، ومن البيان ذو ذخيرة، وفي العَرَبيَّة ذو بيتٍ وعشيرة، والمشاهدة له أوْصَف، على أنَّ تلك الجلالة رُبَّما ذعرت البيانَ فأَخْلَف، وما أجدره بأن يُصادف بسطةً على بساطه، ونظراً يأذن له في القول على اختصاره، وتوسُّطه وإفراطه، فكلٌّ هو به وافٍ، وكلٌّ هو للفهم الكريم كافٍ، والله تعالى يجعل هذه العَزْمة مِنَّا في استنهاض العَزْمَةِ منه بالغةً مبلغاً يُبرِئُ أهل دينه، ويوزِعُهم بها اقتضاء ديونه، من الذين اتخذوا إلهاً من دونه.

والسَّلام الصَّادر عن القلب السَّليم، والوِدُّ الصَّميم، والعهد الكريم، على حضرة الكرم العَلِيَّة، وسُدَّة السِّيادة الجَلِيَّة، سلامَ مَوَدَّةٍ ما وَفَدَ الغَرْبَ قَبْلَها، ورسالةً ما خَطَرَتْ إلى أن يَعَثَتْ وراءها المحبةُ رُسْلَها، وليصل السلامَ رحمه الله وبركاته ورِضْوانُهُ وتحياتُه إنْ شاء الله تعالى.

وكُتِبَ في شعبان سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة، والحمد لله وَحْدَهُ، وصلواته على سَيِّدنا محمدٍ نَبِيِّه وآله وسلامُه.

الهدية: ختمة كريمة في ربعة مُخَيَّشة[2]، مسك ثلاثمائة مثقال، عنبر عشر قلائد عددها ستُّمائة حَبَّة، عود في سفط عشرة أمناء، دِهان بَلَسان[3] مائة دِرْهَم واحدة، قِسِيٍّ بأوتارها مائة وقوسان، سروج عشرون، نصول سيوف هنديَّة عشرون، نُشَّاب ناسج خاص مُرَيَّش كبير ومتوسط ضمن صندوقي خشب مُجَلَّدة سبعمائة سَهْم.

وكان إقلاعُهُ من الإسكندرية في شبني عمارته مائة وعشرون، في ثالث عشر

الملحق الرابع

نص وثيقة المصمودي ، بتاريخ 703هـ/1303م

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنان والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه سلم تسليما وبعد، فقد أشهد على نفسه الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع الزاهد المجاهد عمر المجرد المغربي المالكي بن شيخ الشيوخ القدوة الزاهد عبد الله المغربي ابن الرجل الصالح عبد النبي المغربي المصمودي المجرد أنه وقف وحبس وسبل وتصدق وحرم جميع الثلاثة الدور الموجودين كذا بحارة المغاربة مع جميع ما يعرف بهم وينسب إليهم خارجا عنهم أو داخلا فيهم وشهرتهم كافية عن ذكر أربع حدودهم وجميع الزاوية التي أنشأها الواقف بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب وقدر عدة الحجرات التي بداخلها عشر حجرات بجميع حقوقها ومرافقها داخلا فيها وخارجا عنها وقفا صحيحا من جنس المغاربة وعلى الواردين من المغاربة لبيت المقدس الشريف فمن ذلك أعد الزاوية التي هي بأعلى الحارة للواردين من المغاربة وسكنا إليهم واعد غلة الثلاثة دور المذكورين على مصالح الزاوية المذكورة وعلى إطعامية العيدين والمولد الشريف، وإن فاض شيء يشترى به خبزا ويفرق في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان على المغاربة الموجودين بالقدس. وقد جعل التولية والنظر من بعده إلى الأتقى من جنس المغاربة المقيمين القدس الشريف وإنه يتقيد المتولي والناظر على الوقف لخدمة الزاوية ولإصلاحها على حسب ما هو مشروط وإن هذا الوقف لا يزمن ولا يوهب، ولا يسلب ولا يحل لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم، في اليوم الثالث المبارك من شهر ربيع سنة ثلاث وسبعمائة والحمد لله رب العالمين.

قاضي القدس الشرعي

الملحق الخامس

طبيعة الجهة الواقفة	الطرف الواقف	السنة	نوعية الوقف
رسمية	الملك الأفضل نور الدين[1] السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني[2]	589هـ/ 1193 م 738هـ/ 1338 م	-حارة المغاربة بمساكنها ومنافعها. -مدرسة عُرفت بالمدرسة الأفضلية. تخصيص غلاف مالي لشراء عقارات بالقدس الشريف.
	السلطان أبو الحسن[3]	745هـ/ 1344 م	المصحف المدعو بالربعة المغربية الذي انتسخه السلطان بيده.
أهلية	أبو مدين شعيب[4]	720هـ/ 1320 م	-قرية عين كارم من قرى القدس. -إيوان وبيتين وساحة ومرتفق خاص، ومخزن وقبو، وتوجد هذه الأوقاف بقنطرة أم البنات، باب السلسلة.
	عمر المصمودي[5]	730هـ/ 1330 م	-ثلاثة دور بحارة المغاربة. -جميع الزاوية بأعلى حارة المغاربة، وعدد حجراتها عشر.

تأسيسا على ما سبق، يتضح أن الوجود المغربي بالقدس، حظي بعناية رسمية وشعبية، على مستوى الوقف؛ بغية توفير أجواء مريحة للمغربي المجاور والعابر، وكذا الظروف المناسبة للاستفادة والإفادة العلميتين، باعتبارهما جانبا من جوانب الوجود المغربي هنالك.

مبارك لمين ، جوانب من الوجود الأندلسي المغربي في القدس الوسيط ،ص6

قائمة المصادر

و المراجع

القرآن الكريم رواية حفص عن نافع

المصادر:

1. (ابن أثير)، الكامل في التاريخ، مصر 1947.
2.(الإدريسي) أبو عبد الله محمد ابن محمد، وصف افريقية الشمالية والصحراوية، مأخوذ من نزهة المشتاق، الجزائر، معهد الدروس العليا الإسلامية، 1957.
3. (الإدريسي)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، 2002.
4.(ابن أبي الأصبعية)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، الطبعة الأولى، المطبعة البهية، 1882.
5.(ابن بطوطة)، الرحلة، دار المعارف، مصر، 1954.
6.(ابن جبير) أبو الحسن محمد بن احمد، الرحلة، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1981.
7.(الجوزي) سبط ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء8، الطبعة الأولى، حيدر اباد الدكن، الهند 1951.
8.(الحنبلي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، بيروت، 1979.
9.(ابن خلدون) عبد الرحمان ن محمد بن خلدون الخضرمي: المقدمة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
10. (الذهبي) شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ.
11. (السعيد) علي بن موسى، المغرب في حلي المغرب، تحقيق الدكتور شوقي، دار المعارف، مصر، 1953.
12. (ابن شاكر الكتبي)، فوات الوفيات، الجزء الثاني، بولاق، 1283هـ .
13. (أبو شامة)، شهاب الدين المقدسي، تراجم الرجال القرنين السادس والساب ع، المعروف باليل على الروضتين، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1947.
14. (الصفدي) الصلاح بن آيبك، الوافي بالوفيات، ج4، دمشق 1959.

15. (العباس) احمد الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة ،بيروت 1969.
16. (عبد الرؤوف) مناوي، الكواكب الدرية في تراجع السادة الصوفية، تحقيق احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008.
17. (عبد الله) تليدي، المطرب بمشاهير المغرب، دار الأمانة للنشر، الطبعة الرابعة، 2003.
18. (ابن عذارى) أبو احمد محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت لبنان مكتبة صادر، 1947–1950.
19. (العسقلاني) شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت.
20. (عماد)الكاتب الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمود محمد صبح .
21. (أبو الفداء)عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية.
22. (ابن فرحون) القاضي برهان الدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الاحمدي ابو النور ،مطبعة المعاهد، مصر 1351هـ.
23. (السيوطي) جلال الدين، حسن المحاضرة، الجزء الأول، القاهرة، 1321هـ.
24. (القفطي) جمال الدين يوسف، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح السيد الأمين الخافجي، دار الكتب الخديوية، مصر
25. (القلقشندي) احمد، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب، القاهرة.
26. (لسان الدين) الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، 2009.
27. (أبي مدين) شعيب الغوث، ديوان، تحقيق عبدالقادر سعود وسليمان قرشي، بيروت، لبنان.
28. (المقري)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1949.
29. (المقريزي)، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، تحقيق مصطفى زيادة، 1964.
30. (المقريزي)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار، بولاق، 1853.

31. (أبو منقذ أسامة) ، كتاب الاعتبار، تحرير فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية.
32. (الناصري)، الاستقصاء لأخبار دول الغرب الأقصى (الدولتان المرابطية و الموحدية) الجزء الثاني تحقيق جهز الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1995.
33. (ياقوت) الحموي، معجم الأدباء، تحقيق دكتور إحسان عباس، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1993.
34. .....، معجم البلدان، الجزء السادس، مطبعة السعادة، مصر .
35. (يوسف) ابن الشداد، النوادر السلطانية، مصر، 1317هـ.
36. (يوسف) بن يحي التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق احمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية

المراجع

1. احمد علي ، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع، دار النهضة، بيروت، 1989.
2. شوقي ابو خليل ، الأرك، دار الفكر، الطبعة الأولى 1979 .
3. ارنست باركر، الحروب الصليبية ،ترجمة سيد باز العريني، دار النهضة العربية، لبنان.
4. الأنصاري محمد جابر ، التفاعل بين المشرق والمغرب في اثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، دار الغرب، طبعة الأولى، بيروت، لبنان.
5. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب نبيه فارس البعلبكي، بيروت، 1950.
6. بهيني عبد المجيد ، المغاربة والجهاد البحري ضد الصليبين.
7. التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الجزء السادس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ،1989.

..... اوقاف المغاربة في القدس

..... حي المغاربة بالقدس ،مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد الأول العدد الثالث عشر 1972.

8. جواتيان، دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية، تحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت 1980.
9. حبشي حسن ، الحرب الصليبية الأولى، دار المعارف الطبعة الأولى.
10. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جزء الثاني، دار الجيل، بيروت، 1990.
11. حطيط احمد ، مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق زمن الحروب الصليبية، مقالة في مجلة الثقافة والمعرفة، 2015_09_30.
12. حميدة عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب، دمشق 1995.
13. زيادة نقولا ، الجغرافيا والرحلات عند العرب، الاعمال الكاملة، جزء الثاني، بيروت، 2002.

14. الصلابي علي محمد ، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، عمان.

15. صوري وليام ، الحروب الصليبية، ترجمة حسين الحبشي، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

16. العبادي احمد المختار، البحرية الإسلامية في مصر والشام، الجزء الثاني، دار النهضة،بيروت،1981.

17. العبادي احمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة.

18. عطية عزيز صوريال ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر يوسف، دار الثقافة، القاهرة .

19. عمران محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية (1291_1095)، دار المعارف الجامعية، مصر.

20. ابو غانم حامد زيان ، الصراع السياسي والعسكري بين القوة الإسلامية زمن الحروب الصليبية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1983.

21. الغناكي امراجع عقيلة ، سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، 1988.

22. فهيم حسين محمد ، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

23. فيشر، تاريخ أوربا الوسيط، تعريب مصطفى زيادة والباز العريني، الطبعة الأولى مصر، 1970.

24. قاسم عبده قاسم، الخلفية الايديولوجية، عين الدراسات والبحوث الاجتماعية 1999.

..... ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1999.

25. لقبال موسى ، المغرب الإسلامي، طبعة الثانية، الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

26. محمود عبد الحليم ، أبو مدين الغوث، دار المعارف .

27. مطوي محمد العروسي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي الطبعة الثانية، 1982.

28. موسى عز الدين ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشرون، طبعة الثانية .

29. النصار حسين ، رحلة ابن جبير، القاهرة، 1992.

30. وهبه مصطفى ، موجز تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، مصر، 1329هـ .

31. التكروي ابو القاسم ، دراسة في أدب الرحلات عند علماء إفريقيا، تحقيق الهادي مبروك الدالي، دار الكتب الوطنية، الطبعة الثانية، 2004.

الفـــهـــــرس

الفـــهـــــرس

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي : الوجود المغاربي في المشرق(مصر والشام)قبل الحروب الصليبية وماهية الحروب الصليبية 7

المبحث الأول : وجود المغاربة في مصر والشام قبل الحروب الصليبية.....8

المبحث الثاني : الحروب الصليبية 15

الفصل الأول : دور المغاربة العسكري لصد العدوان الصليبي على المشرق (مصر ،الشام).25

المبحث الأول : التشكيلات العسكرية للمغاربة 26

أولا: إرهاصات عن أول مشاركة عسكرية للمغاربة في الحرب ضد الصليبيين في المشرق....26

ثانيا : الجنود المغاربة في الجيش المشرقي 28

ثالثا: الدعم المالي الذي قدمه المغاربة للجيش.....30

المبحث الثاني :جهاد المغاربة البحري ودورهم في الأسطول 31

أولا :الجهاد البحري للمغاربة 31

ثانيا : اهم القادة المغاربة الذين تولوا امور الاسطول 33

المبحث الثالث : أهم المعارك التي شارك فيها المغاربة والاسرى المغاربة 37

أولا : معركة دمشق (543هـ /1149م).....37

ثانيا : معركة حطين وتحرير بيت المقدس 39

ثالثا : حصار صور و معركة عكا 42

رابعا : الآسرى المغاربة 44

المبحث الرابع :استنجاد صلاح الدين بالسلطان يعقوب المنصور الموحدي 47

أولا : سفارة صلاح الدين الى الدولة الموحدية 47

ثانيا :الرسالة التي بعثها صلاح الدين الايوبي للسلطان الموحدي 49

ثالثا : عدم استجابة الملك الموحدي لنجدة صلاح الدين 50

الفصل الثاني: دور المغاربة الحضاري في المشرق (مصر، الشام) في فترة
الحروب الصليبية.....54

المبحث الأول :الرحالات العلمية المغربية الى المشرق (مصرو الشام) في فترة
الحروب الصليبية 55

أولا: الإدريسي.....55

ثانيا :ابن جبير 56

ثالثا: ابن سعيد المغربي.....59

المبحث الثاني : دور العلماء المغاربة في المشرق (مصر والشام) اثناء
الحروب الصليبية.....62

أولا: التعليم الديني.....62

ثانيا: التعليم الدنيوي.....63

ثالثا : القضاء 66

رابعا : المدارس المغاربية.....66

المبحث الثالث :أوقاف الشيخ ابي مدين الغوث في القدس 68

أولا : نبذة عن حياة الشيخ ابي مدين الغوث.....68

ثانيا :الحج الى المشرق 69

ثالثا مسيرته الصوفية.....69

رابعا :شيوخه و تلاميذه.....71

خامسا :تأثيره و مؤلفاته.....72

سادسا :أوقاف ابي مدين الغوث في القدس.....73

المبحث الرابع : مراكز المغاربة في القدس.....75

أولا : حارة المغاربة 75

ثانيا :حدود حارة المغاربة 75

ثالثا: اوقاف المغاربة الرسمية و الاهلية 76

خاتمة 79

ملاحق 82

قائمة المصادر و المراجع 94

فهرس.....102